مرآة البحرين
Bahrain Mirror

الثلاثاء 14 فبراير 2012 العدد صفر

www.bahrainmirror.com

صحيفة الكترونية مستقلة تعنى بالشأن البحريني - تصدر من خارج البحرين

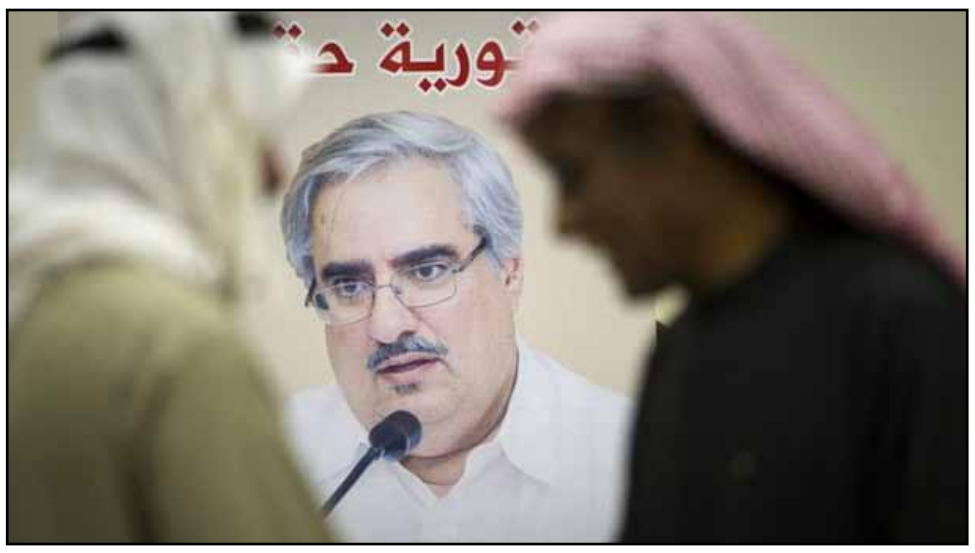

الـثـــــورة
التي لم تتلفز

صداقة القتلة
والسفّاحين ليست عيباً

أمنـا الـثـورة..
ولدنا يوم 14 فبراير

مؤتمر ساخن في الكونغرس الأمريكي بمناسبة 14 فبراير

الوقت ينفد في البحرين، الحكومة فقدت شرعيتها، والمستقبل ينبئ باضطراب عميق

مرآة البحرين (خاص):

عقد يوم الخميس الماضي مؤتمر في مبنى الكونغرس الأمريكي بمناسبة الذكرى الأولى لثورة 14 فبراير، حضره عدد كبير من الضيوف، وجاء تحت عنوان "انتفاضة 14 فبراير البحرينية غير المكتملة: ما هو القادم للبحرين؟"

وكان من بين المحاضرين السيناتور في الكونغرس رون ويدن، والخبير في مجموعة الأزمات الدولية جوست هيلترمان، ومساعد وزير الخارجية الأمريكي الأسبق إليوت أبرامز، ونائب مساعد وزير الدفاع الأمريكي السابق كولين كال.

وتضمنت بعض الأسئلة المطروحة على المحاضرين إثارات بشأن ما يمكن أن يشكله قرار بيع الأسلحة للبحرين من تقويض للمعارضة السلمية فيها، واستفسار عن الازدواجية في المعايير الأمريكية إزاء التعامل مع سوريا والبحرين.

وبثت مجريات الندوة شبكة برنامج مشروع الديمقراطية في الشرق الأوسط POMED والتي كان لها دور التنظيم كذلك.

السيناتور ويدن: تغييرات النظام تجميلية

وقال السيناتور ويدن إن شهر يناير 2012 شهد أعلى معدل لحصيلة القتلى في البحرين منذ مارس 2011، وأكد أن الوضع لا يتحسن كما يقول البعض، وطالب ويدن السلطات البحرينية بالسماح للمنظمات الدولية بدخول البحرين منتقدا منع السيد ريتشارد سولوم من منظمة أطباء لحقوق الإنسان والسيد براين دولي من منظمة حقوق الإنسان أولا من دخول البحرين.

ووصف (ويدن) صفقة الأسلحة الجديدة إلى البحرين بأنها تبعث رسالة خاطئة وفي الوقت غير المناسب، ليس فقط للبحرين بل للعالم أجمع. وقال إنه لا يجوز للولايات المتحدة أن تؤيد سلوك الحكومة في الوقت الحالي، وأضاف بأن الكونغرس سيواصل عبر مجموعته الطعن في بيع الأسلحة إلى البحرين ومساندة الشعب البحريني مؤكدا أن التغييرات التي أحدثت مجرد إجراءات تجميلية "ونحن لا نستطيع مكافأة تغييرات هزيلة ببيع الأسلحة إلى البحرين"

وقال ويدن إن شعب البحرين يطالب منذ عقود بالإصلاح السياسي والاجتماعي، وأضاف إن لدى البحرين فرصة لبدء حوار صادق، والسماح بالاحتجاج السلمي، وأن القرار بيد الحكومة البحرينية لدفع المفاوضات وتحقيق الإصلاح، أو الاستمرار بسياسة العنف.

وتعهد السناتور بالعمل لأن تكون الحكومة الأمريكية شريكا في الجهود الرامية إلى تعزيز حقوق الإنسان في البحرين، إلا أنه عبر عن خيبة أمله من استجابة الإدارة الأمريكية للأحداث في البحرين، وقال في هذا السياق إنه لا يمكن نفي الحقائق ويجب أن تعالج الأوضاع على أرض الواقع.

وأعد السيناتور ويدن ورقة ملاحظات على البحرين مع اقتراب الذكرى السنوية الأولى للثورة تحت عنوان "ما هي الخطوة التالية بالنسبة للبحرين؟"

هلترمان: إصلاحات الحكومة سيرك إعلامي

من جانبه قال الخبير في مجموعة الأزمات الدولية جوست هيلترمان إن تقرير بسيوني وثق انتهاكات القمع، والدمار وقمع حرية التعبير وما يحدث في وسائل الإعلام. وأكد هيلترمان على ما جاء في حديث السيناتور ويدن، وقال إن حكومة البحرين لم تفعل ما هو كاف حتى الآن، وإن الإصلاحات التي شهدتها طفيفة نسبيا.

ورأى هلترمان أن إصلاحات حكومةالبحرينتستهدفالمجتمع الدولي، وليس الشعب. ووصفها بأنها سيرك إعلامي للتأثير على السياسة الدولية، وانتقد هلترمان تركيز تقرير بسيوني على الإصلاح رغم أهميتها الشديدة، وقال إن هناك قضايا أبعد من ذلك "نحن بحاجة إلى الحوار، وإلى المساءلة والإصلاح القضائي، خاصة المتحدة أن تقوم بضغط أكبر يقلل من حدة القمع في البحرين.

وقال أبرامز الذي كان يشغل أيضا منصب مستشار في البيت الأبيض في عهد بوش "أشعر بخيبة أمل في عدم قدرة حكومة الولايات المتحدة تخفيف العنف في البحرين" موضحا أن مشكلة الولايات المتحدة أنها لم تكن أي إشارة في اتجاه انفصال البحرين من التبعية للسعودية مطلقا، وأكد من جانب آخر على إن إيران لا تشكل داعما حقيقيا للمعارضة، مشيرا إلى ماجاء في تقرير بسيوني.

أبرامز: طرف واحد يعذب ويسجن طرفا آخر في البحرين

بدوره أكد مساعد وزير الخارجية الأمريكي الأسبق إليويت أبرامز أنه يجب أن يكون هناك تقاسم للسلطة بين الحكومة والشعب في البحرين ورأى أنه كان بإمكان الولايات المتحدة أن تقوم بضغط أكبر يقلل من حدة القمع في البحرين.

وأشار هيلترمان إلى أن العاملين في القطاع الخاص لم يتم إعادتهم لوظائفهم، وقال إن كل الإدانات يجب أن تلغى كذلك، كما يجب أن تتوقف السياسات الطائفية في البحرين حسب تعبيره.

وأبدى هلترمان قناعته بأنه على أرض الواقع لا توجد مقنعة في حججها بخصوص بيع السلاح. وعبر أبرامز عن مخاوفه بشأن ما يمكن أن يحدث في ذكرى 14 فبراير، وقال إن الوقت ينفد في البحرين.

وقال أبرامز كذلك إن "رئيس الوزراء البحريني جعل تحقيق التقدم مستحيلا، وولي العهد تم إسكاته.. لقد فقدت الأسرة الحاكمة شرعيتها في نظر شعبها" وأضاف "لابد أننا سنرى في المستقبل نهاية لسيادة رئيس الوزراء ومساعديه"

وأوضح كال أن طرفا واحدا فقط هو من يقوم بسجن وتعذيب طرف آخر في البحرين. وإن حكومة البحرين جعلت الانقسامات السنية/الشيعية أكبر من أي وقت مضى.

كال: المستقبل ينبئ باضطراب عميق

من جانبه قال نائب مساعد وزير الدفاع الأمريكي السابق وأستاذ الدراسات الأمنية في جامعة جورج تاون كولين كال إن الولايات المتحدة لديها هدفان في البحرين: الأول هو الإصلاح (في العديد من القطاعات)، وهو أمر مثالي، ولكنه ضروري لتحقيق الاستقرار على المدى الطويل، والثاني هو الشراكة وعلى الخصوص أمنيا.

وأوضح كال أن البحرين هي مفتاح الولايات المتحدة لإحداث التوازن ومكافحة الإرهاب في الشرق الأوسط وقال إن الولايات المتحدة يجب أن تتعلم توجيه أهداف الإصلاح والشراكة من خلال توظيف قيمها بشكل عملي، وردا على سؤال ما إذا كان يجب على أمريكا سحب الأسطول الخامس من البحرين لممارسة مزيد من الضغوط عليها قال كال إن ذلك لا ينبغي.

وعبر كال عن قناعته بأن سحب الولايات المتحدة لجميع المساعدات من البحرين لن يحدث إصلاحا حقيقيا، ولن يشكل تهديدا عمليا، وقال "علينا أن نؤكد أن الاستقرار في البحرين هو في مصلحة الجميع، وفي غياب الإصلاح، فإن المستقبل ينبئ باضطراب عميق. وأشار كال إلى أن الإدارة الأمريكية تفرق بين المساعدات الأمنية الخارجية والداخلية، وهي تقول إنها تؤيد المساعدة الخارجية فقط.

وأكد كال على وجود فرق بين صفقة بيع بقيمة 53 مليون دولار وأخرى بقيمة مليون دولار، وقال إن صفقة بيع صغيرة للدفاع الخارجي ستحافظ على نفوذ الولايات المتحدة. موضحا كذلك بأنه لا يمكن أن تعطي إشارة لحكومة البحرين بأن الولايات المتحدة ستتخلى عنها.

يذكر أن كال كان برفقة وزير الدفاع الأمريكي السابق روبرت غيتس في زيارته للبحرين 12 مارس 2011 للضغط من أجل الإصلاح.

منتدى البحرين لحقوق الانسان:

لا إفلات من العقاب بعد اليوم، وأبناء الملك سيلاحقون قضائيا

يعمل منتدى البحرين لحقوق الانسان على اعداد تقرير يرصد الانتهاكات التي تورط بها أبناء الملك وأفراد من العائلة الحاكمة، ليطلق في نهاية فبراير/شباط بعنوان (مواطنون في قبضة الجلاد).

وقال رئيس المنتدى يوسف ربيع: «سوف يرصد التقرير الذي يعد الثاني في التقارير الخاصة بالملاحقات القضائية أنماط التعذيب والممارسات الحاطة بالكرامة الإنسانية التي تورط فيها هؤلاء الجلادين وفقا لحالات حقيقية تم تسجيلها وتوثيقها من قبل فريق المنتدى بالداخل والخارج.

وأضاف: «بهذا التقرير يمكن اعتبار ملك البحرين أنه سجل سبقا لاطلاق يد أبنائه وأفراد من عائلته في تعذيب المواطنين والايقاع بهم خصوصا في فترة السلامة الوطنية وبذلك يتشارك مع الحاكم العربي السابق المقبور صدام حسين الذي أطلق يد أبنائه في تعذيب العراقيين سواء في المعتقلات أو في صالات الرياضة».

وتابع: « لقد أفضت سياسة الإفلات من العقاب التي تعتمدها السلطات البحرينية، ونتيجة لغياب صورة الدولة بمفهومها السياسي؛ فإن ذلك شجع إلى قيام أبناء الملك البحريني وفي مقدمتهم ناصر بن حمد وخالد بن حمد وبعض من أفراد العائلة الحاكمة التورط في انتهاكات متعددة بحق المواطنين والموقوفين من قادة المعارضة سواء في مراكز التوقيف والاعتقال أو في نقاط التفتيش التي أقامتها عناصر الجيش البحريني وقوات الأمن والحرس والوطني».

قائمة من المعذبين الجدد أورثها الإفلات

وأردف: «شجعت السياسة التي تستخدمها حكومة البحرين ونتيجة لغياب الملاحقات القضائية للمعذبين السابقين في بروز قائمة جديدة من المعذبين والجلادين الجدد الذين انتشرت أسماءهم في ثورة اللؤلؤة كمعذبين للمعتقلين في مراكز التوقيف وقد أعدّ فريق الرصد والمتابعة بالمنتدى قائمة بأسماء هؤلاء المتورطين في الانتهاكات لعرضها على الجهات الحقوقية الدولية ضمن سياسة كسر الإفلات من العقاب، لا سيما وأن تقرير بسيوني قد أثبت في صفحاته حدوث صورا من هذه الانتهاكات الفظيعة».

وأوضح ربيع: «ما نريد أن نمرره أن اصطياد هؤلاء المتورطين في الانتهاكات ليس بالأمر الصعب وبخاصة أننا نتعامل مع منتهكين كثيرا ما يتركوا آثارهم وراءهم بما يشكل ادانة دامغة سواء بالصوت أو بالصورة، ولكن يبقى على العاملين في هذا المجال أن يفككوا سدّ المصالح التي تعرضها أطر السياسة وألاعيبها، وهذا يستدعي حراكا مطلبيا آخر وحين يتم ملاحقة هؤلاء المنتهكين نكون قد أوقدنا اضاءة في طريق ثورة اللؤلؤة وأثبتنا في الفكر الانساني أنّ سياسة الافلات من العقاب قد انتهت صلاحيتها».

يذكر أن الحكومات العربية ومنها الحكومة البحرينية قد اعتادت على اتباع سياسة الافلات من العقاب وهي سياسة متبادلة، وتسعى حكومة البحرين إلى مواصلة جهودها لتحصين نفسها وحلفائها أفرادا كانوا أم جماعات من المسائلة عن انتهاكات حقوق الانسان.

وقد استفادت السلطات البحرينية من تطبيق هذه السياسة خصوصا بعد ثورة الكرامة في مرحلة التسعينات لحماية قائمة الجلادين والمعذبين وعلى رأسهم العقيد عادل فليفل وخالد الوزان وآخرين، والتي بلغ تعداد القتلى فيها ما يزيد على 40 قتيلا.

وقد لجأ حاكم البحرين أثناء فترة ما يسمى بالمصالحة الوطنية التي جاءت في العام 2000 تزامنا مع مشروع ميثاق العمل الوطني الذي جاء به الملك الجديد إلى اصدار مرسوم رقم (56) قدم بموجبه حماية للمعذبين الذي تورطوا في العديد من الجرائم والانتهاكات التي وقعت بالمعتقلين والموقوفين أثناء فترة التسعينات، وهي انتهاكات يحاسب عليها القانون الدولي خصوصا في أنواع التعذيب والقتل في المعتقلات، إضافة إلى الممارسات والتعديات المنهجية والمحرمة دوليا، وماوفرته هذه الإجراءات من استغلال للسلطة.

14 فبراير

افتتاحية

إنه وصف للعمل الأدبي الخارق، والطرح الفلسفي النافذ، والحدث التاريخي الخالد، 14 فبراير هو هكذا مما لا يُنتهى. حدث لا نهائي، بل وله القدرة على أن يُنهي ما قبله ويحل مكانه. لقد أنهى ذكرى دستور2002، وذكرى المشروع الإصلاحي الذي انتهى بالتفرد بالسلطة.

أنهى أسطورة الملك وأيامه الكاذبة التي لم نعشها. يسقط الملوك حين تسقط أساطيرهم، و14 فبراير فعل ذلك بامتياز، جعل من شعار (يسقط حمد) لعبة شعبية يتفنن الناس في تداولها وإسقاط كل المعاني السيئة عليها. كانت زينب الخواجة تهتف بهذا الشعار في ميدان اللؤلؤة مخترقة عنف الدولة الذي كان يحيط بها، كانت تفعل ذلك بقوة حدث 14 فبراير، صار صوتها بحدث هذا التاريخ لا نهائي، لم يتمكن عنف السلطة من إنهائه. الأكثر من ذلك هو صوت النساء، اكتسبن بحدث 14 فبراير قدرة لا نهائية على أن يصبحن صوت الثورة ووردها وأرضها.

لقد جعل هذا الحدث للسياسة في البحرين قوة جديدة، هي قوة الشعب، صوته، إرادته، قراره، اختياره. لا يمكن لأي لاعب سياسي بعد 14 فبراير أن يُنزل أمره على هذا الشعب، فقد أصبح قوة لا نهائية، صار سيد نفسه، سيادته أصبحت مركز اللعبة السياسية، و(تحلمون) أن يتنازل عنها تحت أي تسوية كانت. لذلك لا يمكن أن نقول (بالمعنى السابق نفسه) جلالة الملك في 14 فبراير، بل نقول جلالة 14 فبراير. فالجلالة الأولى لا تجتمع مع الجلالة الثانية، فالسياسية في اللعبة الديمقراطية هي سيادة جلالة الشعب لا سيادة جلالة ملك الشعب. إنها معادلة لا نهائية، فحياة الديمقراطية مقرونة بها، وحدث 14 فبراير جاء ليمنح الشعب ما لا ينتهي، والملك ينتهي. وهذا ما فهمه الملك جيدا، حين قال في مقابلته مع صحيفة دير شبيجل الالمانية "إن هتافات المحتجين بسقوطه لا تعد سببا يدعو لسجنهم" و14 فبراير هو الذي أخضع الملك ليقول في المقابلة نفسها، نحن سواسية مع الناس. وبقوة هذا الحدث سيعرف الملك أن وحدة البلد أهم من وحدة عائلته.

لهذا الحدث، قوة القطع اللانهائي أي القطع الذي ليس بعده وصل، لقد قطع فعل الغزو والفتح (1783) وما استتبعها من من عبودية وسخرة وتمييز. لقد ظل هذا الفعل (الغزو/ الفتح) يشكل سياسة السلطة في إدراة الدولة، وطوال القرنين الماضيين لم نتوفر على حدث يقطع استمرارية سياسة هذا الفعل، حتى جاء حدث 14 فبراير، فأعرب كل تشكيلات هذا الفعل الممكنة، بمعنى جعلها واضحة أمامنا، لسنا مضطرين للخضوع بشكل لا نهائي لسياسة تقوم على الإكراه والقهر والتمييز، بـ14فبراير صارت لنا قوة لإحداث قطيعة مع هذه السياسية. والنسخة الأخيرة لهذه السياسة هي (المشروع الإصلاحي) الذي هو أحد مفجرات حدث 14 فبراير.

الحوار الجدي هو أحد مفاعيل قوة 14 فبراير، لم نكن قبله نتحدث بهذه القوة عن الحوار الجدي، ولم نكن نعني ما نعنيه. اليوم الحوار الجدي يعني الاتفاق على إنهاء هذه السياسة التي تسبق 14 فبراير، وتأسيس مواطنة مشتركة، لا ينفي فيها أحد أحداً، لا تنفي فيها قبيلة شعباً (الفتح)، ولا ينفي فيها ملك إرادة الناس (دستور2002)، ولا يستعبد فيها شخص مواطنين (رئيس وزراء 40عاما).

شبكة ١٤ فبراير الإعلامية..

مجهولون في فضاء الفضح

بعد أربعة أيام فقط من فرض قانون السلامة الوطنية في البحرين، وتحديداً في 21 مارس 2011، قام شاب دون الخامسة والعشرين بتدشين شبكة أسماها «شبكة 14 فبراير الإعلامية».

مرآة البحرين (خاص):

أسماء مجهولة، لا تبحث عن ظهور ولا شهرة، ولا تدعي بطولة، ولا تنسب لنفسها مفاخر النضال، لكنها تعمل ليل نهار دون توقف، ودون أن يرف لها جفن تعب أو ينكسر لها طرف خوف. تعمل من أجل نشر الحقيقة وفضح انتهاكات النظام التي بلغت حداً فاق كل التوقعات. إنهم شباب وشابات يانعون، ليسوا سياسيين بالأصل، لكنهم وجدوا أنفسهم أمام واجب الفضح لما عاينوه من بشاعة القمع. عملوا في أكثر الأوقات صعوبة وخطورة، حيث فترة السلامة الوطنية، كان شبح الاعتقال يتهددهم كل لحظة، كذلك الموت، لكن لم يوقفهم الخوف لحظة، ولا يزالون.

بعد أربعة أيام فقط من فرض قانون السلامة الوطنية في البحرين، وبدء حملة القمع الوحشية ضد كل ما يمت لثورة 14 فبراير بصلة، وتحديداً في 21 مارس 2011، قام شاب دون الخامسة والعشرين بتدشين شبكة أسماها «شبكة 14 فبراير الإعلامية». هدف الشبكة كسر حالة التعتيم الإعلامي التي بدأت تتوفر على غطاء سعودي خليجي، وتوفير المعلومات حول كل ما يجري في البحرين من اعتقالات وانتهاكات يندى لها الجبين.

بدأت الصفحة على الفيس بوك. اختار الشاب أربعة شباب ممن يثق بهم، قريبين منه، بدؤوا بنقل الأخبار من مصادر مختلفة أهمها تويتر ومجموعات البلاكبيري، حرصوا على جمع الأخبار الموثوقة لصنع الصورة الحقيقية لما يجري في البحرين حينها. تقاسم الخمسة نوبات العمل، حرصوا على أن تغطي الشبكة الأحداث على مدار 24 ساعة يومياً، أجلوا حياتهم بأكملها وقدموها فقط العمل من أجل الثورة. كان عليهم جمع ماكان متفرقاً من الأخبار والتفاصيل والأحداث والصور واليوتيوبات.

حققت الشبكة مصداقية واسعة وصدى، كانت شاملة وحيادية. بعد أقل من شهر، أصدرت إعلانا أظهرت فيه حاجتها إلى عاملين ومراسلين شباب، تم اختيار أربعة شبان، من بينهم فتاة، انضموا لفريق العمل. بعد أسبوعين حدثت تطورات أمنية إثر اشتداد حملة القمع والاعتقالات. قرر مؤسس الشبكة ومعه أصدقاؤه الأربعة التفرغ لنشاطات أخرى، وتمّ تسليم الشباب الجدد مسؤولية إدارة الشبكة التي كانت قد بدأت تحقق صدى إعلاميا كبيرا في الداخل وتحظى بمتابعة جيدة.

تنازل أحد الشباب الجدد عن حسابه الشخصي على تويتر وجعله باسم شبكة 14 فبراير الإعلامية، لأنه كان يملك عدد متابعين أعلى من بين بقية زملائه. تفاعل مع الشبكة عدد من الشخصيات السياسية والحقوقية، كان أهم هذه التفاعلات قيام الحقوقي نبيل رجب بالدعوة لمتابعة صفحة الشبكة على موقع الفيس بوك، وبالفعل زاد عدد المتابعين يوماً بعد آخر.

الرؤساء الأربعة الجدد انتهجوا طريقتهم الخاصة: التشدد في الحفاظ على مصداقية الصفحة. تغطية متواصلة لمدة 24 ساعة. كان يتم تبادل المناوبة كل ساعتين، وفي المساء يسهر بعضهم للمتابعة والتغطية.

وصل عدد (الأدمن) المسؤول عن إدارة الصفحة إلى عشرة بعد اجتذاب عدد من الشباب الموثوقين، وضع الشباب صياغة خاصة للأخبار بحيث تتميز أخبار الشبكة عن باقي الصفحات والشبكات الأخرى.

توسع عمل الشبكة، فقاموا بتدشين حملات إعلامية لصالح الفعاليات الشعبية التي بدأت تعاود النشاط في المناطق المختلفة، ثم قدمت مونتاجات فنية توثق الانتهاكات، وأخرى تحث على الصمود ومواصلة الثورة بقوة. كل هذه التطورات حصلت قبل أن ينتهي شهر مايو حين كان سيف الجيش يقمع كل الناشطين.

لم تنحز الشبكة لرأي سياسي محدد أو لتيار معين، حافظت على خط عام يمكن لكل التيارات أن تجد نفسها فيه. تعرضت الصفحة للإغلاق لثلاث مرات، النظام والموالون له شنوا حملات إغلاق وتبليغ عن الصفحة. بعد مراسلة إدارة موقع الفيس بوك، تم تلقي الرد أن ثمة بلاغاً وصل لإدارة الموقع من وزارة الداخلية البحرينية تطلب فيه إغلاق الصفحة لأنها تنشر شائعات وتحرض ضد الدولة. تمت إعادة الصفحة بعد أن اقتنعت إدارة الفيس بوك أنها صفحة إعلامية تفضح الظلم الكبير الذي يقع ضد المواطنين.

قبل نهاية يونيو، وبالتعاون مع المجاميع الشبابية، دشنت الصفحة حملة تحشيد واسعة لانطلاق تظاهرات كبرى في الأول من يونيو موعد انتهاء قانون السلامة الوطنية، كانت الدعوة للجماهير بالتوجه لموقع دوار اللؤلؤة، إثر ذلك فرضت السلطة في الأول من يونيو حصارا واسعا على مختلف المناطق القريبة من الدوار، لكن ذلك اليوم كان إيذانا بانطلاق الحركة الجماهيرية من جديد.

عملت الشبكة على تخصيص وقت لكتابة الأخبار وحقيقة ما يجري للعالم باللغة الانجليزية، وتم رصد أثر ذلك، فقامت الشبكة بتدشين صفحة على موقع الفيس بوك وحساب على تويتر باللغة الانجليزية، يصل متابعيها حاليا إلى ستة آلاف تقريبا. ويمكن رصد التفاعل الأجنبي مع الصفحة من خلال النقاشات الجارية في مساحة التعليقات.

تم أيضا فتح صفحة جاليري خاصة، تنشر المونتاجات الفنية من رسم وتصميم ومونتاجات فيديو وصور مميزة للأحداث اليومية، واستقطبت هذه الصفحة مهتمين كثر بالثورة من البحرين. حالياً، هناك قناة يوتيوب خاصة بالشبكة، ومجلة اسمها مجلة الحدث، وهناك صفحة خاصة لتوثيق الانتهاكات التي تقوم بها السلطات ضد المواطنين.

إثر هذا التوسع تم استقطاب عدد من الكفاءات الشبابية، فزاد عدد العاملين في الشبكة، فتم تشكيل مجلس إدارة للشبكة. يجب الإشارة إلى أن تجمع التظافر الإعلامي ليس هو مجلس إدارة شبكة 14 فبراير الإعلامية، وإنما ذلك التجمع هو بمثابة ائتلاف للصفحات الإعلامية.

حتى اللحظة وصل عدد متابعي صفحة الشبكة على الفيس بوك 50 ألف متابع، وعدد متابعي حسابها على تويتر 50 ألفاً أيضا. إضافة إلى مجموعتين على البلاكبيري، يبلغ عدد المشتركين في كل واحدة أكثر من ألفي مشترك.

الجانب الأمني لعمل نحو تسعة من (الأدمن) المسؤولين عن الشبكة حاليا، هو جانب معقد، هم أشخاص غير مهتمين بالظهور الإعلامي، هدفهم مواصلة العمل ونقل الأحداث للداخل والخارج. وتكمن علة عدم اهتمامهم بالظهور الإعلامي هو تجنب أية حملة قمع مقبلة بحيث يكون وضع الشبكة آمن فيمكنها مواصلة العمل. للشبكة علاقات وتأثير على عدد كبير من الشبكات الإعلامية، وتعتبر حاليا من أهم الشبكات في المنطقة الخليجية.

ما يزال هؤلاء الشباب يعملون في غرفة لا يعرفهم فيها أحد، لا تذكر أسماءهم ضمن قائمة الأبطال المناضلين لأنهم لا يستهدفون ألقاب البطولة، لكنها تسكنهم، وهذا الشرف يكفيهم.

الديوان الملكي يرشو أمين عام (تجمع الوحدة) بأرض مساحتها 10400 م^2

العطاء كممارسة سياسية وفق قاعدة معاوية الشهيرة "مواكلة حسنة ومشاربة جميلة" كانت هذه المرة من نصيب الأمين العام لجمعية التجمع عبدالله الحويحي، الذي وهبه الديوان الملكي مؤخراً قطعة أرض بمساحة ألف و400 متر مربع بتمام المؤاكلة وكمال المشاربة، تقع العطية في جزيرة المحرق وغالباً ستكون في منطقة البسيتين. لقد بدا جليا أن الاقتتال على المناصب القيادية في جمعية التجمع سببه سياسة العطايا الكبيرة التي بدأت ممارستها مع عبداللطيف المحمود زعيم التجمع.

لقد حصد الناس الوهم من الخوف الذي عمل سياسيو مجمع الفاتح على تشريبه للجماهير الفقيرة، وأكلوا هم عطايا الأراضي وهباتها ضمن سياسة (لنا مطالب).

رويترز: مأزق سياسي حاد بعد سنة من انطلاق الاحتجاجات

مرآة البحرين: رأت وكالة «رويترز» أن البحرين تبدو «في مأزق سياسي مع تصاعد التظاهرات التي تقودها المعارضة بعد سنة من انطلاق الحركة الاحتجاجية». ونقلت على لسان وزير التربية السابق علي فخرو قوله «في اعتقادي لا يمكن توقع ما قد يحصل في الأيام القادمة في البحرين لأنه لا توجد قيادة موحدة بل قيادات مختلفة ومنقسمة على بعضها، إضافة إلى انقسام مرعب في المجتمع بين السنة والشيعة».

إلا أن فخرو شدد على أن «الحل الأمني لا يحل المشكلة» في البحرين و«لا بد من حل سياسي».

واعتبر أنه يتعين على «القوى السياسية والمجتمع المدني أن يتحاورا في ما بينهما للاتفاق على مشروع سياسي يجري التحاور بشأنه في ما بعد مع السلطات السياسية». وباتت التظاهرات المعارضة شبه يومية في الآونة الأخيرة فيما تتدخل قوات الأمن مستخدمة القوة في بعض الأحيان لتفريقها.

«العفو الدولية»: الحكومة البحرينية ما تزال بعيدة عن تحقيق توصيات لجنة التحقيق

مرآة البحرين: أعلنت منظمة العفو الدولية أمس الاثنين أن الحكومة البحرينية لا تزال بعيدة عن تحقيق التغييرات في مجال حقوق الإنسان التي أوصت بها لجنة دولية مستقلة. وحذّرت المنظمة من أن «حكومة البحرين تخاطر بالتخلف عن الموعد النهائي الذي حددته بنهاية شباط/فبراير الحالي لتنفيذ توصيات لجنة لتحقيق المستقلة»، داعية إياها إلى «إطلاق سراح جميع السجناء المحكوم عليهم أو المحتجزين لمجرد المشاركة السلمية في الاحتجاجات، وتقديم المسؤولين عن الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان المرتكبة العام الماضي للعدالة».

كما حذرتها – حسبما نقلت وكالة يو بي إي – من «استخدام القوة المفرطة ضد المتظاهرين، مع استعدادهم لإحياء الذكرى السنوية الأولى لبدء الاحتجاجات المناهضة للحكومة». وقالت حسيبة حاج صحراوي نائبة مدير برنامج الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في منظمة العفو الدولية «على الرغم من الوعود التي قطعتها الحكومة، لا يزال ضحايا الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان التي وقعت منذ بدء الاحتجاجات قبل نحو عام، ينتظرون العدالة».

وأضافت صحراوي أن حكومة البحرين «أصدرت عدداً من الإعلانات حول ما فعلته من أجل تحسين أوضاع حقوق الإنسان، لكن الحقيقة هي أنها لم تنفذها في المجالات الأكثر الأهمية، ولن نكون قادرين على الحكم على ما إذا كانت تلك الإعلانات مجرد عملية علاقات عامة إلا بعد أن نرى إطلاق سراح سجناء الرأي ومحاكمة مرتكبي الانتهاكات، بما فيهم أولئك الذين أعطوا الأوامر».

وقالت منظمة العفو الدولية «إن وعود الحكومة البحرينية لتنفيذ جميع توصيات لجنة التحقيق المستقلة ستظل جوفاء في حال استمرت التحقيقات في الانتهاكات من قبل الحكومة في إطار السرية».

70 دينار علاوة لكل شرطي مكافحة الشغب

مرآة البحرين : علمت «مرآة البحرين» أن وزارة الداخلية قد أمرت بصرف مبلغ 70 دينار علاوة لكل العاملين في الأجهزة الأمنية من مخابرات وشرطة مكافحة الشغب، وذلك بأثر رجعي بدءا من يناير/ كانون الثاني الماضي. وقال مواطن متندراً «إذلك لن بمناسبة مرور عام على الانتفاضة».

وهذه ليست المرة الأولى التي يتم فيها مكافأة قوات الأمن التي تتشكل غالباً من الأجانب، خصوصاً الباكستانيين. ويتقاضي شرطي مكافحة الشغب مبلغاً يتراوح بين 400 دينار إلى 750 دينار حسب الإعلانات التي يتم نشرها في الجرائد المحلية الباكستانية.

نادر المتروك

«نقول لبقايا الطغاة العرب: نحن حيارى بالفعل، لكننا لن نتراجع عن المجازفة»
الباحث المغربي الصّديق سعيد ناشيد

من بين الغيوم الملبّدة، فإن الواضح تماماً هو أنّ السّلوك الرّسمي لم يتغيّر تماماً. لازال الحكمُ يدفعُ النّاسَ للمزيد من السّخط الشّعبي –إذا شئنا استذكار السيد بسيوني– وتمثّل إطلالة العاهل يوم الأحد 15 يناير الفائت شبيهة بالإطلالات الأخرى، والرسائل لم يتغيّر جوهرها. لابد أن نضع الضراوة المستأنفة بعد تقرير بسيوني في دائرة الضوء دائما. برفقة ذلك، لا ينبغي التقليل من جدّية التهديد العملي من جانب الحُكم. هناك رغبة لا تتوقّف في التحريك المبرمج للأدوات التدميرية التي تمّ إطلاقها خلال قانون الطوارئ. كلُّ ذلك لا يتمّ بمعزل عن الجوّ العام الذي يُراد الدّفع نحوه غضون 14 فبراير وما بعده.

في البدء، يُفضّل تجميد الجدل بشأن مقولتين تبدوان من كلاسيكيات التحليل السياسي للشأن الداخلي. مقولة الأجنحة المتعدّدة، ومقولة توزيع الأدوار بخصوص أقطاب الحكم. لم يعد مهمّا الآن النّظر إلى تداخل الأحداث بإحدى هاتين الرؤيتين. ففي النتيجة، لم يعد «الحاكم بأمر العساكر» معنياً بأقطاب الحُكم في الداخل، متطرّفين أو معتدلين أو بين بين، بقدر ما يعنيه الترومومتر الأميركي واسترضاء السّعوديين. استتباعاً توضيحيا لذلك، لا فائدة من المبالغة في موضعة الحدث البحريني في السياقات الإقليميّة المضطربة، وهو قطعاً لا يعني – في الوقت نفسه – إهمال الآثار الممتدة أو المصالح الخارجيّة لما يجري داخليا، ولكن يبقى مهماً للسياسيين المعارضين إقناع منّ يهمّه الأمر: بأنّ جرّ الكرة البحرينيّة الملتهبة داخل الدوائر المشتعلة في الإقليم؛ ليس واردا ألبته، وأنّ العلاجات المقبولة متاحة محلياً، وبالإمكان إدارة العلاج من غير تهديد الآخرين أو تعريضهم لخسران المصالح المكتسبة.

أيضاً، علينا أن نسترجع الحقيقة المتكرّرة أمامنا: قدّم النظامُ أسوأ ما عنده. وبلا حدود. وهو يفعل ذلك بمزيد من التحدّي والصلافة والابتكار في إرهاب المعارضين. لم يتغيّر الأمرُ بوجود بسيوني، ولا بعد صدور تقريره الأول، وما قد يصدر لاحقا. وهذا يعني أنّ مسار الأحداث في البحرين مهيّأ دائماً للانفجار. والسؤال: إلى متى؟ وما مداه؟

الذكرى السنوية للثورة البحرينيّة لن تكون المحطة الأخيرة، أو لا ينبغي أن تكون كذلك. المتوقّع أننا مقبلون على محطات أخرى لا تقلّ حسّماً. إلا أنّ البعد العاطفي والخصوصيّة التاريخيّة سيكون لها تأثيرها على مخزون الغضب المنتظر انفجاره هذا اليوم. يعمل النّظام – كما فعل قبل عام – على امتصاص درجات من الغضب، ولكنه لا يفكّر أبداً في إرضاء الغاضبين، وتحقيق مطالبهم التي يعرفها جيداً. هو يهتم بالاستهلاك الموجّه للخارج. يعني ذلك كلّه: أن السّلوكيات الإجراميّة للنظام لن تتوقف في الوقت المنظور، وأنّها آيلة لمزيد من ارتكاب الفجائع. ولكنه لن يجني سوى النّدامة.

لاكتمال الصورة، يُفضّل إعادة توصيف الثلاثيّة الفاعلة بعد عام من انطلاق الثّورة: المعارضة، النظام، والشّعب.

المعارضة في الدّاخل أتمّت خروجها الواضح من موروثات 2002 الانقلابيّة، وهي خطوة تعني سياسياً أنّ النظام فقدَ تكتيكات عديدة يمكن تلخيصها في التهديد بالعودة إلى المربعات الأولى. من وراء هذا التقدُّم غير المسبوق لقوى المعارضة؛ يبرزُ الخطاب المطلبي غير المهادن الذي ثبّته علماء دين كبار، وفي مقدّمهم الشيخ عيسى قاسم، والذي أسّس – منذ بداية الثورة – جملة من المحدّدات والخطوط العريضة، لتتحوّل سريعاً إلى سلوك سياسي صارم تلتزم به القوى السياسية لاسيما التي تنضوي تحت مرجعيته الفكرية والسياسية.

المشهد الآن يُقدّم معارضةً عريضة، وتقترب مطالبها أكثر من أيّ وقتٍ مضى. لم تلتق الأطياف المعارضة من بعضها كما هي الآن، وما سقط عن ركابها كان يُفترض سقوطه من زمن سابق. ومن جهة أخرى، إذا كان المعتقلون في شبكة أغسطس – بمعية لوبي المحامين – مثّلوا العام الماضي القوة الانتفاضيّة الحقيقيّة، فإنّ ذات المعتقلين اليوم يقدّمون قوة انتفاضيّة مضافية بالنّظر إلى «الزملاء» الجُدد الذين يعتقلهم النظام. إنهم، بكلّ معنى الكلمة، الغصّة التي ستُوجِع النظام كلّ يوم.

إذن، المعارضة باتت أكثر تنظيما. لديها صلات دوليّة، ومكانتها ذات اعتبار. تخلّصت من تعقيدات المطالب وسقوفها، وإرهاق المناورة بين الحدود الدّنيا والمتوسطة، وبدأت تُسرع الخُطى نحو الجوهر المطلبي. استطاعت أن تتجاوز الصّدمات المتتالية، واستوعبت كلّ ردود الأفعال القائمة والمحتملة. الصّورة شبه واضحة فيما يتعلق بنقاط القوّة والضّعف لديها. والمفيد، والأكثر أهمية، هو أنّ المعارضة أضحت أكثر معرفةً بالنظام، ولديها المعطيات الكافية لوضعه على طاولة التّشريح.

من جهته؛ أمعن النظام في البطش، وكان يعبّر في ذلك عن ضعفه وقلّة حيله وحيلته. ليس من الممكن الحديث عن غباءٍ للنّظام. لديه مستشارون في الداخل والخارج. لكن، ذلك لا يعني أنّه يُمسك بكلّ شيء، وأنّ عيونه تحيط بما تخفي الصّدور. ثبُت أنه نظام غير قادر على إدارة مصالحه، ولديه القدرة الفائقة على تفخيخ قوّته التدميريّة. لم يناور النّظام في السياسة إلا أيام معدودات. ومن فرّط جنونه، أنه أحاط هذه المناورة بسيول من الدّماء. أي، أنه لم يستطع الصّبر قليلاً في أكذوباته، وأفشل بنفسه مشاريع الالتفاف. المثير للسخرية، أنّه مع كلّ مشروع مناورة يُسرّع النظام بنفسه لإجهاضه بضربةٍ واحدة، ومن غير أن يترك للآخرين وقتاً للانخداع وبلّع الطُّعم.

ينبغي وضع جملة أخرى لتكون الرؤية دقيقةً بخصوص النظام في البحرين. تتعاون عدّة أنظمة لتثبيت النظام البحريني الحالي، وتتولّى السعودية دورا كبيرا وقياديا في ذلك. تحريك النظام من الخارج هي نقطة ضعف أخرى، لا ينبغي إهمالها. يُدرِك الكثيرون صعوبة الأمر حينما يتحوّل الملف البحريني إلى التداول الإقليمي، وهي صعوبة واقعية تماما بالنظر إلى حدّة التجاذبات القائمة بين الدول الكبرى، وهنا مناسبة الملاحظة المذكورة أوّل المقال.

تابع تكملة المقال على موقع مرآة البحرين

×كاتب بحريني.

الرسائل المسربة من عتمة الزنازين، دروس وطن

مرآة البحرين (خاص):

تبدأ رحلتها سراً، تواصل الاختباء يد إلى يد، وفي محطّتها الأخيرة، بعد أن تنجح في الإفلات من أعين الرقابة، تعبر نحو الخارج، لتزهر بين يدي محبيها. بعضها يُكشف للعلن في مواقع التواصل الاجتماعي والمنتديات والمواقع الإلكترونية، وأخرى يتقفل عليها في دواخل قلوب الأحبة، يؤنسون بها أرواحهم كلّما تسللت إليهم الكآبة، ففيها من عبير «الخصوصية» ما لا يجيد استنشاقه إلاّ المسمّاة باسمائهم.

إنها رسائل المعتقلين المسربة من ظلام السجن إلى نور الأحبة، ورغم التشديد الذي يمنع الورق كما يمنع القلم، إلا أنها لا تزال تأتي. تختلف موضوعاتها ومقاصدها، وتختلف خصوصيتها أو عموميتها، أن تُنشر أو تُحفظ، وحده المعتقل صاحب الرسالة المسربة، يحدد الغرض والمساحة التي يريدها لتداول رسالته.

■ غربة فاطمة

"يريدون بسجنهم لي الآن، أن يكسروني وينتقموا منّي، فقمت باعتصار الألم والدموع داخل جفوني، ولحبّك يا وطني ها هم ذا يلومونني، فقلت لهم، أنا فداءٌ لوطني فلا تحاجّوني" هكذا كتبت المعتقلة فاطمة في رسالتها المسربة ذات مرة. أرادت أن تعبر خارج سجنها، فلم تجد سوى حرف يسعفها وريشة رسم. في لوحتها الفنيّة، رسمت فاطمة البحرين تنزف من شمالها إلى جنوبها، فيما فتاة تطأطئ برأسها في ظلام يكتم الأنفاس، ربما كانت تعني نفسها. توشّحت فاطمة وحشّة الزنزانة الضيّقة، وراحت تخاطب وطنها: "إليك أشكو معاناتي وهمومي، فأنا لطالما حلمتُ بالعيش بكرامة ونيل حرّيتي، وددت أن أحس بانتمائي لأرضكَ يا وطني لأشعر باللذّة في مواطنتي، وليس بغربتي في موطني". هي زهرة غربة، مرّرتها "فاطمة" إلى الضوء في لحظة انزواء، بقلم ممنوع من الوصول إلى أناملها، وورقة بيضاء مُررّت للداخل سراً، وخرجت سرّاً.

■ امتحان علي وأوراق حسين

المعتقل (علي) غاب عن عائلته لأشهر طويلة، لذلك فإن الفقد هو قلب رسالته المسربة. كتب إلى عائلته يقول: "والدي العزيز الغالي، أمي العزيزة الحانية، إخواني أخواتي الأعزاء (...)، يحتار القلم وتعجز العبارات وتكلّ الكلمات عن وصف مدى شوقي لكم وجلوسي بينكم ومعكم، لكن الله قدّر وما شاء فعل، وما هو إلا امتحان لنا ولكم واختبار لمدى صبرنا على البلاء الذي يمتحن الله به المؤمنين، فإن صبروا يوفيهم أجور الصابرين ". (علي.ع.م، الحوض الجاف، 1 فبراير 2012)

أتاح المعتقل لـ(علي) الكثير من الصفاء الذهني والعبادة والوصول إلى جواهر الأشياء، وكما قال الكاتب الفرنسي جوهاندو "إن السجن ليس سجناً، بل هو المهرب والحرية، ففيه يستطيع الإنسان الهرب من تفاهات الحياة كي يعود إلى جوهرها"، من أجل ذلك .. حرص "علي" على طمأنة أحبائه "اطمئنوا، فإني أحمد الله الذي فرّغني للعبادة وقراءة القرآن أكثر من ذي قبل، والالتفات لما فات وكنت عنه غافلاً والاستغفار .. "، يضيف "لا أنساكم أحبتي في كل صلاة ودعاء، لأن صوركم لا تفارقني دائماً، وصوتكم في مسامعي، وأنا أستذكر دائماً المراحل التي عشتها ..."، إلى أن يقول "سامحوني أحبتي عن كل تقصير عمداً كان أو سهواً".

أما حسين الذي تشق نسيم الحرية منذ أيام، فقد كان يحرص في كل مرة تحضر زوجته لزيارته، أن تحضر له ورقاً وقلماً. يقول في إحدى رسائله: "لا تتيح الزيارات السريعة للأهل أن أفرغ بعض ما في جعبتي من مشاعر وأحاسيس لأحبابي، ولذلك في كل زيارة تحضر زوجتي أوراقاً لأسجّل فيها بعضاً من ولهي لأهلي وأصحابي".

ويضيف "أكتب أحياناً لأمي، أو لأبي، أو إخوتي وأخواتي، أفتّش عن مناسباتهم لأرسل لهم التحيات والتبريكات والأمنيات، أشعر أن السجن وثق علاقتي بأهلي وأصدقائي أكثر من خلال الرسائل التي كتبتها".

■ قلب فضيلة وذكريات أحمد

"فضيلة المبارك"، الأم التي قضت 10 أشهر في السجن بسبب سماعها لشريط ترانيم الثورة البحرينية، لم تتقطع عن بوح مشاعرها عبر الخواطر والرسم وتسريبه إلى أحبابها، وحين انقطع ابنها الأكبر "مهدي" عن الذهاب لأمه لأنه لا يتحمّل رؤيتها في السجن، أرسلت له في عيد ميلاده "قلبها"، وهل أجمل وأغلى من قلب "أم". رسمت فضيلة قلبها الممتلئ حناناً وأمومة متوقّدة، فيما بدا في وجهها -الذي رسمته ريشتها- بعض انكسار. انكسارٌ لأنها لن تتمكن من حضور حفل عيد ميلاد حبيبها كما اعتادت كل عام، وبداخل "القلب" كتبت فضيلة هذه العبارة "عيد ميلاد سعيد يامهدي".

أما (أحمد.ع.م)، فكتب إلى زوجته في الخامس من فبراير الجاري، في كارتونة صغيرة "تذكرين العام الماضي، أحيينا مولد النبي محمد (ص) في

ميدان الشهداء، كوني من أوائل العائدين إلى الدوّار حبيبتي، وتذكريني، سأعود حتماً وسنجلس معاً في الدوّار".

■ سلمية المحروس

"تذوّق الموت"، تجربة أحسّ بها أغلب المعتقلين في رحلة العذابات والشقاء الذي صاحبهم في ظلام الطوامير المغيّبة بباطن الأرض، هناك في مبنى "أمن الدولة"، حيث كانت "شهوة الانتقام" قد بلغت أوجها في أشهر مارس وأبريل ومايو، انقطعت أخبار كل المعتقلين، سوى أخبار "الموت".

بعد تلك التجربة "المريرة" وما قابلها من إنكار حكومي "قاطع" بحدوث أي انتهاك، بدأت تتسلّل قصص الفظائع التي ارتكبتها عصابات النظام في ظلام السجون بأقلام الضحايا، وفيما دعا النظام في الثاني والعشرين من يونيو بعض الدبلوماسيين والحقوقيين والإعلاميين الحكوميين لحضور جلسة النطق بالحكم ضدّ الرموز الأربعة عشر في قضيّة إسقاط النظام، وحاول إيهامهم بـ"حضارية" إجراءاته وتعامله مع المعتقلين، وصف الشيخ ميرزا المحروس في رسالة من داخل المعتقل ما جرى بعد النطق بحكم السجن المؤبد ضدّه، حينما هتف مع زملائه داخل المحكمة "سلمية، سلمية"، يقول: "فجاء لنا عناصر من الجيش وأخرجونا بعنف من قاعة المحكمة ثم انهالوا علينا بالضرب والسب والشتم وتم تكبيل أيدينا إلى الوراء وتوقيفنا بالشمس وأخذوا يضربوننا، وقد تم الاعتداء علي بالضرب على رأسي وظهري وعيني فشعرت بألم شديد وأحمر بياض العين وأسود محل الضربة وتورمت عيني (...)، نقلنا بالسيارة الى السجن فلما وصلنا قاموا كذلك بضربي وركلي بالأرجل وسقطت من شدة التعب والإرهاق".

■ برد شريف

الأمين العام لجمعية العمل الوطني "وعد" المناضل إبراهيم شريف، والمتهم هو الآخر مع المحروس بإسقاط النظام، قرّر في وقت مبكّر بعد اعتقاله تسريب رسائله "الثلاث" الشهيرة حول ماجرى له منذ اعتقاله، شرح معاناته في الاعتقال الذي تم في السابع عشر من مارس 2011، حين "وجدتُ مجموعة من رجال المباحث الملثمين بالإضافة الى شرطة يحملون أسلحة وملثمين (...) تم إلقاء القبض علي وأخذني في السيارة المدنية ثم وضع القيود وعصبة العين".

ويتناول شريف في رسالته الأولى ما حصل له في سجن "القرين"، "وصلنا سجن القرين في حوالي الساعة الخامسة صباحا وتم إخراجنا من السيارة ووقفنا في الساحة معصوبي الأعين فيما وجه لنا المسؤولون والسجانون الألفاظ النابية والتهديدات، وقد سمعتهم يشتمون الأخ حسن مشيم "طز فيك وفي أئمتك الاثني عشر" لهما، أضيف إليهما طبيبين آخرين هما محمد أصغر وأحمد عمران، لكن ما حدث للطبيب سعيد الصاهيجي اليوم كان الأكثر ألماً"، وتسرد الرسالة ما تعرّض له الصاهيجي الذي "اشتكى من ألم شديد في الرأس أعقبه ترجيع مستمر، ثم ازداد الألم وأصبح لا يتحمله (...) اتضح أنه أصيب بشلل في العصب المخي السادس، وعدم تساوي فتحتي بؤبؤ العين مع علامات لتهيج الغشاء المحيط للمخ، مما يدل على احتمال نزيف في المخ".

■ سيارة الطويل

صنفٌ من المعتقلين، تمّ فبركة قضايا جنائية ضدّهم، أرهبوهم، روّعوهم، عذّبوهم حتى الموت. أرغموهم على كتابة اعترافات باطلة على أنفسهم، كتبوا للتنفيس عن الشعور بمرارة "المظلومية". ليس سهلاً على الإنسان أن يعيش تلك التجربة وهو يعلم علم اليقين بأنه "بريء" .. بعضهم وكان المكيف شغالا والغرفة باردة وأصبح النوم مستحيلا مع الماء الذي امتصته الاسفنجة والوساده واللحاف (...)، استمروا على هذا المنوال حوالي أسبوع كامل".

كما يتناول شريف في رسائله خلفيات المحاكمة والجلسة الأولى "تم إبلاغنا بوجود محكمة لنا في اليوم التالي وقبل منتصف اليوم حضر ملازم من الجيش وقدم أوراق "أمر الإحالة" (...)، لم يتسنَ لنا مقابلة المحامين إلا في يوم عقد جلسة المحكمة فيما لم نتمكن من استلام نسخ من ملف الدعوة أو تزويدنا بالأقلام والأوراق للمساهمة في الدفاع عن انفسنا".

■ حالات الأطباء

الأطباء هم الآخرون، ممّن عانوا الأمّرين من الحجور والإفراط في التعامل الا إنساني منذ الاعتقال مروراً بالتعذيب والتحقيق المهين، واستمرّت أوضاعهم المزرية في المعتقل.. وفي شهر رمضان حيث الحرّ والجوع والعطش وانعدام الراحة، مرّروا رسالة نشرتها (مرآة البحرين) تناولت أحوالهم المتردية "بعد أن كان كل من الطبيبين غسان ضيف وحسن التويلاني يعانيان من الضغوط النفسية، ما أدى لوصف أدوية مضادة للاكتئاب لهما، أضيف إليهما طبيبين آخرين هما محمد أصغر وأحمد عمران، لكن ما حدث للطبيب سعيد الصاهيجي اليوم كان الأكثر ألماً"، وتسرد الرسالة ما تعرّض له الصاهيجي الذي "اشتكى من ألم شديد في الرأس أعقبه ترجيع مستمر، ثم ازداد الألم وأصبح لا يتحمله (...) اتضح أنه أصيب بشلل في العصب المخي السادس، وعدم تساوي فتحتي بؤبؤ العين مع علامات لتهيج الغشاء المحيط للمخ، مما يدل على احتمال نزيف في المخ".

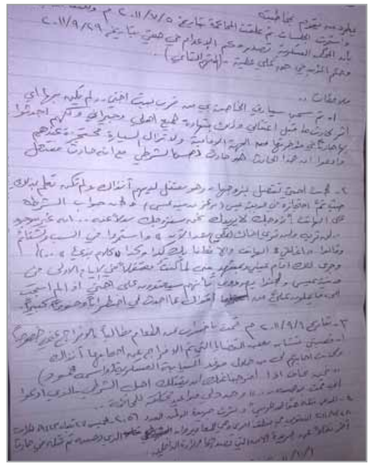

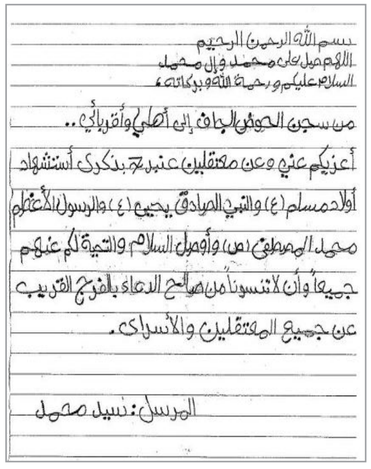

بسم الله الرحمن الرحيم
اللهم صل على محمد وآل محمد
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
من سجن الحوض الجاف إلى أهلي وأقربائي..
أعزيكم عني وعن معتقلين عندنا بذكرى أستشهاد
أولادمسلم (ع) والنبي الصادق يحيى (ع) والرسول الأعظم
محمد المصطفى (ص) وأوصل السلام والتحية لكم عنهم
جميعا وأن لاتنسونا من صالح الدعاء بالفرج القريب
عن جميع المعتقلين والأسرى.
المرسل: نبيل صهل

لم يكن له أي نشاط سياسي، فضلاً عن أن يتورّط في مهاجمة رجل أمن في مظاهرة بقصد القتل، المحكوم بالإعدام علي الطويل، سرب رسالة شرح فيها ما تعرض له: "تم سحب سيارتي الخاصّة بي من قرب بيت أختي، لم يكن بها أي أثر لحادث قبل اعتقالي وذلك بشهادة جميع أهلي وجيراني، ولكنهم أحدثوا بها حادثاً في مؤخرتها من الجهة الأمامية، ولا تزال السيّارة محتجزة عندهم، وادّعوا أن هذا الحادث هو محاولة لدهس الشرطي مع أنه حادث مفتعل"، سرد في تلك الرسالة قصّة اعتقاله والفظائع التي تعرّض لها لإرغامه على الاعتراف بجرم لم يرتكبه "كانوا يهدّدونني باغتصاب أختي إذا لم أستجب إلى ما يملون عليّ من أقوال، مما أحدث لي اضطراباً وخوفاً"، جرى ذلك التهديد بعد صنوف الإرهاب الذي تعرّض له على مدى أسابيع بحسب ما يسرد الطويل في رسالته.

■ معتقلو المنامة

معتقلو المنامة العشرة، هم الآخرون سردوا تجربة مظلوميتهم في رسالة سرّبوها ونشرتها (مرآة البحرين)، ففي الفجر "تم الهجوم على غرف النوم عن طريق ملثمين مدنيين والعديد من قوات مكافحة الشغب، بعض الأشخاص المراد القبض عليهم كانوا من غير ملابس"، جرى ذلك في السابع عشر من نوفمبر، أي قبل أيام من نشر لجنة تقصي الحقائق الملكية برئاسة بسيوني تقريرها. ويفيد المعتقلون العشرة في رسالتهم "اتهمونا بتهمتي إغلاق الشوارع وحرق الإطارات أمام الداخلية، وقد اعترف بعض الأشخاص في النيابة بسبب الخوف من التهديد بإرجاعنا إلى الغرف السوداء"، وتتابع الرسالة "على أي أساس تم إلصاق التهم بنا ولا يوجد دليل واحد يثبت تورطنا في أعمال الشغب فيتم اعتقالنا من منازلنا ونخسر أعمالنا ودراستنا ويبعدونا عن أهلنا وزوجاتنا وأبنائنا على اتهام باطل؟!!".

المعتقل علي جاسم المقهوي، المحكوم بالسجن 10 سنوات، قال بتهمة اختطاف باكستاني، قال في رسالته التي سرّبها من السجن، وبعد أن استعرض صنوف التعذيب والإهانات والفظائع التي تعرّض لها منذ اعتقاله في الثالث والعشرين من أبريل "كانت يداي مقيدتان وعيناي مصمدتان، وقرأ المحقّق علي القضيّة المتهم فيها، قلت له لا علم لي بها، فقال بأني إذا لم أعترف بالكلام الذي قرأه فسوف يقوم بتعليقي بالفيلقة والتعذيب بالكهرباء، ثم أحضر شخصاً آخر وقال تكلّم الآن، فقلت الرواية التي أملاها عليّ".

■ متابعة الساحات

تسجّل بعض الرسائل "المسرّبة" وخصوصاً من "الرموز السياسية" حضورها ومتابعتها لمستجدات الساحة السياسية، أغلب تلك الرسائل تخرج "شفوية" يحّملها الرموز إلى أهليهم لإيصالها للجماهير، وأحد أسباب تلك "الشفوية" الإجراءات الأمنية المشدّدة المفروضة على سجن جو الذي يرزح فيه أغلب الرموز.

"حسين" ابن الأمين العام لتيار الوفاء الإسلامي الأستاذ عبدالوهاب حسين، و"حسين" ابن الأمين العام لجمعية أمل الإسلامية الشيخ المحفوظ، يوصلان عبر حسابيهما في "تويتر" الكثير من الرسائل التي تعكس متابعة المرمزين آنفي الذكر لمستجدات الحالة السياسية، بعض تلك الرسائل توجيهية الطابع كالتوصية المستمرّة بـ "السلمية"، وأخرى تحفيزية وتشجيعية، وأخرى لمتابعة المستجدات، فمرّة -على سبيل المثال- كتب حسين على لسان أبيه الأستاذ عبدالوهاب حسين "اطلعنا على وثيقة المنامة وقمنا بدراستها وهذا شيء طبيعي"، ويضيف "لايوجد لدينا اتجاه حتى الآن بإخراج رأي حول الوثيقة".

فيما كتب أمين عام حركة "حق" الأستاذ حسن مشيم مرّة رداً على ما نشرته الصحف الحكومية بأن الأخير التقى شخصية يُزعم أنها تنتمي إلى الحرس الثوري الإيراني قبل مجيئه للبحرين في مارس الماضي، هو "غلام شكوري"، ردّ مشيم في رسالته بالقول "يشهد الله تعالى أني لا أعرف ولم ألتقِ بأي شخص بهذا الاسم مطلقاً ولم أعرف وجود مثل هذه الشخصية إلا مؤخراً من خلال ما قرأت في الصحافة المحلية وهو كذب وافتراء، ومحاولة كيدية واضحة، الغرض منها تشويهي وتشويه المعارضة بأساليب رخيصة (...) وليس من الأخلاق أن تنطلق الماكينة الإعلامية بمثل هذا الهجوم على أشخاص لا يملكون الحرية ولا تتاح لهم الفرصة للرد على تلك الأكاذيب".

■ برويز ناصحاً

أما أكبر معتقل سياسي، محمد جواد المعروف شعبياً بـ "برويز"، فكتب ناصحاً ابنة أخته الثورية سميرة رجب إثر ظهورها المتكرّر في وسائل الإعلام للدفاع عن الفظائع والانتهاكات التي يقوم بها النظام والهجوم على الحراك الشعبي ونعته بأقذع الصفات، "ابنة اختي، علامَ تبذلين جهدكِ وتدفعين الغالي والنفيس في سبيل إعلاء باطلٍ قد انحدر إلى أسفل السافلين؟ (...)، لا أزالُ أنا - خالك – أقضي تحت أقسى أغلالَ الظلم، وقد حكم عليَ القضاةُ الجائرين ظُلماً حُكماً يصل إلى خمسة عشر عاماً دونَ جرمٍ سوى أني طالبتُ كغيري بالحرية والإصلاح وحقوق الانسان وكل ذلك بالطرق السلمية".

ويضيف في رسالته "لقد قضيت أربعة أشهرٍ مريرة لحد الموت تحت التعذيب والتنكيل القاسي، قضيتُ شهرين بدمائي التي جعلت لحيتي تتحول من بيضاء الى حمراء من دون استحمامٍ أو صلاة فكنتُ أصلي بعيني اثناء التعليق والتعذيب ومن دون وضوء أو طهارة ونزل وزني لما يقارب الثلاثين كيلوغراما، وها أنتِ كأنكِ لستِ ممن يسمع ويرى ومن ثم تقولين في قناة الBBC أن الشعب لا يريد تغيير رأس الفساد رئيس الوزراء؟!".

■ صمود

"أصدقائي، سامحوني لأنكم تجاهدون في ساحات القرية ليلياً ضدّ المرتزقة، أما أنا فقد صرتُ هنا في السجن، أدعو الله أن يفكّ أسري لأكون معكم" (حسين، 23 ديسمبر 2011، الحوض الجاف).

رغم العذابات، والإهانات، والإمعان في استخدام كل أدوات كسر الإرادة والتحبيط والتيئيس .. "إلاّ أن جاسم المحكوم بالسجن سبع سنوات يستقبلنا ويودعنا بكلمة (صمود)"، يقول أخوه، إنها الرسالة الشفوية التي يطلب كل المعتقلين من أهليهم إيصالها لكل من يسأل عنهم.

الطالب الجامعي جواد المحاري، الذي قال عنه أساتذه في جامعة البحرين د.عيسى الخاقاني في منتدى "الوفاق" عن أحداث جامعة البحرين "قمت برفعه في الساعة الثالثة ظهراً مضرجاً بدمائه من حديقة الجامعة، والآن يحاكم بتهمة حرق الجامعة ويحكم عليه بالسجن 15 سنة!!"، في رسالته التي وصفها بأنها من "جسم معتقل وروح تحلّق في السماء" كتب: السلام على كل المرابطين، السلام على كل الصامدين، (...)، لا أدري ماذا أقول لكم، لكن الذي أعرفه أننا مقصرون جدا معكم، (...) أحببت أن اقول لكم إننا هنا صامدون ان شاء الله، حتى ينصرنا الله أو يأخذنا في أمانته، ويضيف المحاري: وعدٌ من الله عز وجل سيأتي النصر من عنده .. كما قال سبحانه في كتابه الجليل (حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)، (أحكم جميعاً، جواد المحاري، 22 أغسطس 2011، الحوض الجاف).

جاسم الحليبي، كتب في رسالته المسرّبة في سبمتبر الماضي "أما عن أخباري، فأنا صابر على البلاد، ومتيقّن أن الفرج قريب (...)، أمي العزيز أهنئك على صبرك واحتمالك لهذا الفراق الذي طال، وهذا أنا صابر لامتحان الله والذي علمتيني إياه منذ الصغر".

المعتقل السنابسي، يوسف محمد، كتب في 11 أكتوبر رسالته المفعمة والمليئة بحيوية المناضل المكافح الصامد "أبلغكم أحر التحيات من داخل السجون الخليفية، وسلامي وبقائي على العهد في أشدّ الظروف، أيها الأحبّة الأحرار الصامدون خارج المعتقل، الباقين على المطالب، كم أنا خجل منكم، لا أستطيع إلاّ شكركم بالطريقة التي تعلمناها في الميدان (شكراً لكم)".

أما الرسالة التي أبكت كثيرين، وألهمت كثيراً، رغم قلة عدد حروفها وكلماتها، إلاّ أنها كانت حبلى بلغة التحدّي والمواجهة، فكانت رسالة المحكوم بالإعدام عبدالعزيز عبدالرضا، حين كتب إلى والدته بعد النطق بالحكم بأيام "إن الحكم لا يهزنا، وكل ما كتبه الله لنا فنحن نقبل به"، مضيفاً "أيها الشعب، إننا صامدون، وهذا الحُكم لن يُركعنا".

كاميرا صادق المرزوق..
أكثر الأشياء صلابة في الاحتجاجات

صادق المرزوق، الكاميرا التي شهدت فصول الأحداث منذ بداياتها، عليه غبار كل المسيرات والاعتصامات، وفي ألبوماته أثر لكل الأقدام التي مرت من شوارع الثورة، حدثنا وهو يقلب آلاف الصور التي حملها إلى ذاكرته وذاكرة الجهاز المحمول عن مسيرة عام كامل، وجدناه يقف عند محطة سابقة للرابع عشر من فبراير، هو اعتصام الرابع من ذلك الشهر أمام السفارة المصرية وذلك للمطالبة بسقوط حسني مبارك، نلمح إبراهيم شريف يلقي كلمة في الجموع التي تضمنت أفراداً من الجالية المصرية، وإلى جواره وجوه المعارضة السياسية في وقفة تضامنية مع الشعب المصري.

صورة من التضامن يحفظها المرزوق للتاريخ، وتحفظ لنا هذه الرغبة للالتحاق بركب الثورات العربية الذي للتو انطلق، رغبة لم تتأخر فيها هو المرزوق يصف لنا عبر صوره مسيرة الرابع عشر من فبراير في النويدرات، عبدالوهاب حسين يتقدم جموعاً لن تنتظر قوى الأمن طويلاً قبل أن ترد عليها بمسيلات الدموع، يتفرق الجمع ثم يعاود ترتيب صفوفه لتبدأ المسيرة ثانية وتبدأ جولة المسيلات مرة أخرى..

الحدث عينه يتكرر في سترة لكن هذه المرة في صورة أكبر، آلاف المتظاهرين جاءوا من مناطق سترة السبعة، ليحتشدوا عن الشارع رقم1 بالقرب من مدخل سترة..قوى الأمن تتمركز بالقرب من المتظاهرين، يقول المرزوق، حاول المتظاهرون إقناع الأمن بسلمية الحراك، والاتفاق معهم على نقطة معينة يصلون إليها ثم يعودون تجنباً للاصطدام..اختبار الاتفاق لم يطل طويلاً، فقوى الأمن باغتت الجموع بالهجوم الوحشي، هجوم غير مسبوق، انتهى بمواجهات وإصابات كبيرة.

المسيرات في ذلك اليوم لم تتقطع، وبالمثل كان القمع الذي خلّف وراءه أول شهيد لحراك الرابع عشر من فبراير، الشهيد على المشيمع في قرية الدية، يقول المرزوق بأنه قرر وعدد من الزملاء المصورين التواجد في مستشفى السلمانية لحين وصول جثمان الشهيد الذي جرى تشييعه في اليوم التالي.

ظهيرة الغضب

الساعة الثانية ظهراً وفق ساعة المرزوق، والتاريخ هو الخامس عشر من فبراير، للتو أكملت الحشود تشييعها للشهيد الأول علي المشيمع، التعب كان نصيب الكثيرين ممن قطعوا الطريق مشياً من السلمانية إلى الزنج مروراً بطشان وجدحفص وانتهاءً بالديه، هناك كان الحشد مختلفاً عن كل مناسبة سابقة، وكانت الشمس في انتصاف النهار.

يقول المرزوق: كنت أرقب الحشد الكبير الذي لم ينفض بعد،كاميرتي مفتوحة لرصد كل الخطوات التي يرسمها العابرون من هناك على الأرض،هتافات ولافتات لم تهدأ، أنظر بعينين مفتوحين لهذا المشهد وأستعيد صورة المواجهة التي سبقت المسيرة عند بوابة السلمانية، خرجت جثة الشهيد لتستقبلها مسيلات الدموع، حاولت الخروج أول مرة من المستشفى ولم أتمكن لكثافة الدخان،وجدنا ضحايا الاختناق يرجعون إلى الداخل، فيما يحاول الآخرون مساعدتهم بالكماماتوالبصل وعبوات العطر.

المكان الآن غير المكان، يكمل المرزوق سرد مشاهداته، فالحشود التي أعلنت غضبها في مسيرة التشييع قد قررت التوجه إلى دوار اللؤلؤ، كنا نهرول في مشينا، طمعاً في اختصار المسافة، نجمع ما تبقى من طاقة ليوم منذر للركض بين المحطات، بلغنا الدوار في خمسين دقيقة، في هذه اللحظة وصلنا خبر استشهاد فاضل المتروك، جو غضب عارم بدأ يلف المكان، لافتات مختلفة بدأت تخرج للعلن، "الشعب يريد إسقاط النظام"، "دماؤنا رخيصة من أجل الوطن".. بدأت الأعلام البحرينية تنتشر بكثافة في حدود المكان.

وجد المرزوق نفسه أمام لحظة تاريخية، كان يرقب بعدسته مشهداً لا سابق له في البحرين، وجوه من مختلف الأطياف والأعمار والانتماءات تعتصم في موقع واحد، يغمره إحساس بالفرح رغم كآبة الأخبار التي حملت إليه تأكيد سقوط الشهيد الثاني، بدأ وعدد من الأصدقاء الانتشار في الدوار، يروي لنا كيف أنهم لم يستقروا في مكان، يبحثون عن أي لقطة توثق الحدث، ينشغلون في رصد مطالب الشعب بداية، كان الشعب محور كل شيء، حتى إن الدوار –على حد وصفه – كان يسمى بميدان الشعب قبل أن يصبح ميدان الشهداء بعد الخميس الدامي.

في المساء كانت الاستعدادت مكثفة للمبيت في الدوار، الخيام بدأت تأخذ مواقعها باكراً في تلك الليلة، يقول المرزوق: بتنا وفي رؤوسنا الكثير من الصور التي جمعناها في مشوار يوم طويل، استكملنا مهام رفع الصور إلى وكالات الأنباء والمواقع الالكترونية واندفعنا إلى حصة النوم، صباحاً كان المكان مفعماً بالحياة، وكانت الجهود مستمرة لاستكمال التجهيزات الصوتية، واستكمال المضائف، وجدنا البعض مشغولاً بتنظيف المكان، والبعض الآخر بكتابة اللافتات، تأملت هذه المشاهد بكاميرتي فسجلتها قبل الانصراف إلى مستشفى السلمانية، استعداداً لتغطية مسيرة التشييع الخاصة بالشهيد فاضل المتروك.

كان اليوم شاقاً هو الآخر، يضيف المرزوق، الكثير من المسيرات والكثير من التغطيات التي تقاسمناها مع الأصدقاء الذين التحقوا بالمركز الإعلامي في الدوار، كانت حقائبنا تمتلئ بالعدسات وأجهزة التخزين الخارجية، وبطاقات الإنترنت، وكل العتاد اللازم لتوفير الصورة ونقلها للعالم في الآن واللحظة، كانت ليلة برد قارس لم نحتط لها بما يكفي من الملابس، قررت في الأثناء العودة إلى ستر وجلب مزيد من الملابس والأغطية، كانت الواحدة فجراً، أي قبل ساعة ونصف من الهجوم الوحشي على الدوار في ما عرف بالخميس الدامي.

الهاتف النقال يرن على صوت إحدى قريبات المرزوق في الثانية والنصف فجراً تؤكد حادثة الهجوم، عندها توجه مباشرة إلى الدوار، حاول الدخول من منطقة برهامة، وصل إلى أبراج اللؤلؤة وحاول التقدم مشياً لكن الجموع كانت تخرج من هناك، كان الخوف سيد الموقف، هجوم مباغت وإطلاق نار غير مسبوق، أصوات مدوية تغتال صمت الساعات الأولى من الفجر، كان المرزوق يحاول التقاط ما يمكن من الصور وهو في طريقه إلى هناك، شاهد في الأثناء حالات اختناق، سيارات الشرطة تتعقب الشباب الخارج من الدوار، فتقفل راجعاً إلى موقع الأحداث الأول: مستشفى السلمانية.

صوت الإسعاف المتقطع

يشير المرزوق إلى أنه أول المصورين وصولاً إلى هناك، يحدثنا عن جلادة وصلابة واجه بها مراراً الأزمات السابقة، يذكرنا برغبته القديمة في أن يكون مصوراً للحروب والنزاعات، غير أنه هذه المرة بدأ يشعر بأنه يتنفس بصعوبة، ونبضات قلبه تتسارع في إيقاعها، ويكمل: المناظر فضيعة حد البشاعة، ما زلت أذكر أحد المصابين وهو ينزف الدم لجرح عميق في فخذه، كان يحرضني على التصوير، يقول: صوري وانشر، شاهدت طفلة محمولة لا تصرخ ولا تتكلم.. فقط عيون مفتوحة على الآخر من هول الصدمة، شهدت وصول الشهيد محمود أبوتاكي وهو مازال يعالج أنفاسه الأخيرة، في غرفة الإنعاش كانت المحاولات مستمرة لإنقاذ حياته لكن لا فائدة، انحنت عيني مراراً على أغراضه الشخصية، كان كل متاعه في تلك اللحظة: تربة وقرآن وكتاب أدعية إلى جانب هاتفه النقال.

يتوالى وصول الضحايا، والمرزوق منكب على التصوير، يضغط على الأزرار لكن عقله عاجز عن فهم ما يجري، حتى البكاء كان بالنسبة له لحظة مؤجلة، كان الاهتمام منصباً على التصوير ورفع الصور إلى الانترنت مباشرة، حتى وصول جثمان الشهيد علي المؤمن في اليوم التالي، جسد محفور بالرصاص، وربما بطعنات السكين، وجد المرزوق نفسه يصرخ بلا وعي: مات..مات.. فيما كان الفريق الطبي يتوجه به إلى غرفة الإنعاش، كان الشهيد علي خضير قد سبقه بالوصول إلى هناك، كما لحقهما الشهيد عيسى عبدالحسن الذي حمل للمشرحة مباشرة، وقف المرزوق يتأمل بشاعة المنظر وبشاعة الفعل الذي هشم رأس هذا الأخير.

حصار السلمانية

بين يدي المرزوق كانت الكاميرا تصف أحداث يوم هلع كبير، يوم ملطخ بالدم، وبصور الوجع، وبكثير من الإشاعات التي تركت الشارع في لجة من الحزن لا تنتهي، لكنها في المقابل كانت على ما يصف المرزوق وقوداً لمتابعة فصول الحكاية،حكاية 14 فبراير، قبل أن يحاصرها مرسوم السلامة الوطنية، وقبل أن يحاصر الجيش مستشفى السلمانية في ليلة باردة موحشة، السادس عشر من مارس، كان الحصار مطبقاً على كل منافذ المستشفى، بينما كان المرزوق ورفاقه يحاولون الاختباء في مخزن صغير لرفع الصور المتبقية إلى مواقع الانترنت.. كان الناس في الأثناء يفترشون الممرات ويتكدسون في المسجد، وغرف المرضى، ينامون ويصحون على وقع أي صوت.

سيعرف المرزوق معنى الخوف جيداً في عيون الناس، وفي أحوال زملائه من المصورين، حيث وجد أحدهم في لباس طبيب، وآخر مستلقٍ على سرير مريض، كل ذلك تحسباً للحظة دخول الجيش إلى المستشفى، كان وقتها يطوح بنظره خارجاً من زجاج النافذة، ويحاول القبض بكاميرته على عمود الدخان الصاعد من ناحية الدوار، أسند ظهره بعدها للجدار مشغولاً بالتفكير في كيفية إخراج أجهزة التخزين والعدسات والكاميرا واللاب توب من ذلك المكان، فبعد التفتيش عند مخرج المستشفى ثمة تفتيش آخر، ولن تكون هذه المعدات إلا سبباً للدخول في متاهة أمنية لا نهاية لها.

بعد أن تم الإعلان عن إمكانية المغادرة من المستشفى، كان خيار المرزوق ورفاقه أن يتركوا الكاميرات وباقي المعدات في مكان مجهول داخل المستشفى وأن يبحثوا لهم عن مخرج آمن، وعن لحظة غياب. تكفيهم المطاردات الأمنية التي نالت كل آثار 14 فبراير، ولم يسلم منها حتى الدوار الذي لم يجدوا الراحة إلا بهدمه..لحظة مجنونة تم فيها ملاحقة المصورين واعتقالهم، بل وتقديمهم إلى محاكمات عسكرية، فيما كان نصيب المرزوق منها مداهمة منزله مرتين، وكلها لم تحل حتى الآن دون إصراره وزملائه من المصورين على أن يكونوا رواة ثقات للأجيال القادمة بعدسات تأبى إلا أن تكون مخلصة لقضيتها.

أم يوسف موالي:
هذه الجثة لا أعرفها!

صباح الأربعاء، قطع ورقة من دفتر يومياته، كتب بخطه الطفولي (اللّه أكبر.. الحمد لله.. اللّه له الملك... الأربعاء يومٌ من أيام اللّه) لا أحد يعلم لمَ كتب تلك الكلمات، لكنه تركها فوق طاولته.

مرآة البحرين (خاص):

قرب القبر جلست، رفعت يديها بتضرعٍ موجع، رددت بصوت الواثق: «اللهم تقبل منا هذا القربان» ثم تعالت زغرداتها وسط القبور، علّ الأرواح المقيمة هناك تستقبل عرّيسها بما يليق، كانت فرحة لموته كما لا تكون الأمهات، وأمام وكيل النيابة وقفت بشموخ، قالت: «انا فرحة من أجله، سعيدة لهذه النهاية، كل أم تتمنى أن تطمئن على ابنها، كل أم تفكر كيف تدرس ابنها في أفضل الجامعات، كيف تجهز مهره، وتتخير له عروسه، وتبني له بيته، لقد اختصر ابني كل هذا المشوار، أنا سعيدة من أجله ولم أعد أفكر كيف أرتب له حياته، لكن قتلته سيفكرون به طويلاً، وستنتهي حياتهم ببشاعة كما لم يتخيلوا أبداً».

■ صديقي وحبي الأبدي

في المنزل، وبالتحديد في غرفته التي بدت خاويةً من كل شيء إلا هو: صوره، كؤوسه، سريره الذي بقي كما تركه آخر مرة، قصاصات الورق، والكثير من الكتب التي تنتظر أن يقرأها، ونملاتٍ ستخرج في الصيف دون ان تجد فتات الخبز الذي كان يتركه من أجلها في زوايا غرفته، سيفتقده كثيرون، لكن ستفتقده هي أكثر، أمه التي بدأت حديثها "ماذا أقول عن يوسف؟" لم تعرف من أين تبدأ، ولا أي الأشياء أحب إلى قلبها كي تحدثنا عنها، أحببت كل ما فيه: هدوءه، حنانه، طاعته، التزامه، تواضعه، وزهده، براءته، كل ما به لا يشبه غيره، قالت: "لم يكن ابني يوماً، لقد كان صديقي، كان ظلي، واليوم فقدت ظلي".

بذات الهدوء أكملت: "قبل عامٍ ونصف طلبت الحصول على تقاعد مبكر، يومها قلت لمسئوليتي: "أريد أن أتقرب من أبنائي، أريد أن أتقرب من يوسف" لم تعلم حينها أن القدر يعدّها لفراقٍ طويل لا تأتي بعده ريح يوسف، القدر الذي منحها فرصة القرب منه، التزود بكل ما به ليوم، لا يبقى من يوسف الا تلك الذكريات، التي ستغدو كل زادها لسفرٍ طويلٍ يخلو منه.

■ الباب المفتوح

صباح الأربعاء، قطع ورقة من دفتر يومياته، كتب عليها بخطه الطفولي (اللّه أكبر.. الحمد للّه.. اللّه له الملك... الأربعاء يومٌ من أيام اللّه)، لا أحد يعلم لمَ كتب تلك الكلمات، لكنه تركها فوق طاولته، وخرج، ترك الباب شبه مفتوح، كانت تلك طريقته في قول "لن أتأخر أو سأعود سريعاً".

في ذلك اليوم، كان القدر يرسم طريقاً آخر ليوسف لم يعبره قبل، لم تستيقظ أمه كعادتها في الخامسة، أطالت النوم عن غير قصد، لم تصح للصلاة وتكمل نومها فوق الأريكة في انتظار قدومه، ليتشاركا الإفطار كعادتهما، ويخرجا سوياً لقضاء اليوم في أمورٍ شتى، هي نامت، وهو خرج، ولم يلتقيا بعدها أبداً. استيقظت متأخرة، قرابة التاسعة صباحاً، انتظرت خروجه من غرفته، طال انتظارها، سألت الخادمة، قالت: خرج. تفحصت الباب فوجدته شبه مفتوح، عرفت أنه لن يطيل، لكن غيابه طال، وطال انتظارها.

عند الثانية عشر ظهراً، بكت، قالت إن يوسف أصابه مكروه، فقد دخل وقت الصلاة ولم يعد، ولم تكن تلك عادته، بحثوا عنه في كل مكان، لكن أثراً منه لم يبق، هرعت لمركز الشرطة، قدمت بلاغاً باختفائه، أرادت التأكد أنهم لم يعتقلوه، فقد فعلوها قبل الآن، في مارس اختديداً، بعد إعلان حالة الحظر، قالت: لم يكن ليوسف شأنٌ بالسياسة، لقد كانت حياته هادئة بعيدة عن كل ذلك، لهذا لم أخبره عن حظر التجول، ولم أتوقع خروجه ذلك اليوم، لكنه خرج، فأخذته بعض العناصر المدنية، قال لي يومها: لقد كنت مرعوباً، دعوت في قلبي أن ينجيني الله، فرآني أحدهم اتمتم فصرخ علي ماذا تقول؟ ماذا تدعو علينا؟ ثم طلب منهم آخر أن ينزلوني من السيارة، تضيف: رموه يومها بالقرب من المقبرة، في الظلام، عاد حينها للبيت مذعوراً، أصيب بتشنج وسقط مغشياً عليه، أخذته للطبيب النفسي لمدة شهرين، تشافى خلالها سريعاً مما ألم به".

بعد رشفة شاي دافئ قالت: أخبرني الضابط أن ابني معتقل لدى التحقيقات وبإمكاننا تسلمه، كنا ننتظر أن يأتي الغد لنذهب ونأخذه، لكن ذلك اليوم لم يأتِ أبداً، أخبروني أن ابني وجد ميتاً، وأن البحر قتله، بكيت حينها بكاءً هستيرياً، لم أعرف ماذا أفعل، كنت عاجزة تماماً، حتى قال لي أحدهم: أتبكين وابنك شهيد؟ انتبهت لمحدثي، ابني شهيد!! حقاً ابني شهيد؟ توقفت عندها عن البكاء، صرخت بكل الحاضرين، لا أريد بكاءً، أنا أم الشهيد، زغردوا، هنئوني، لقد أصبح ابني شهيدا، لم يصدق الحاضرون ما أقول، اعتقدوا أني أهذي، لكني كررت قولي، وقلت يومها: سأنتظر أن يأتي الربيع وسأقيم زفةً لابني الشهيد، أريد أن أفرح به.

ليس ابني...

لم أحضر للمشرحة، تقول أم يوسف لمرآة البحرين، أردت أن أتجاوز تلك المرحلة، أن أتجاوز صورة ابني ممدداً فوق صفيحٍ بارد في هذا الشتاء القاسي، تركت هذه المهمة للرجال، انشغلت حينها بتهيئة نفسي لدورٍ كنت أظن أني لا أقوى على احتماله، حين كنت أرى عوائل الشهداء عبر التلفاز وهم يرددون نحن صابرون وراضون بما قسمه الله لنا، أقول في نفسي: "كيف يمتلكون كل تلك الشجاعة لتحمل كل هذا، لا أقوى على فراق أبنائي، ولست على استعداد لخسارة أحدهم". أراد الله يومها أن يختبر أم يوسف، وأن يكشف ما لا تعرفه عن نفسها، أن يمدها بما تحتاج من صبر كي تصمد، لم تكن مستعدة لذلك يوماً، لكن الله هيأها لتكون أماً للشهيد، لتربيه، وتصادقه، صدمت أم يوسف مما رأت، صرخت: "لا... ليس ابني، هذه الجثة لا أعرفها، ليس ابني" ثم سقطت مغشياً عليها، لقد كانت صامدة، قوية، مؤمنة بما كتبه الله، لكن منظر ابنها الأخير أجل حق يوسف في القصاص من قتلته.

مرّ أسبوع على رحيله، ما زال جسده ينام وحيدا، عارياً في هذا الشتاء، وما زالت تصر على براءة البحر من دمه، انتهى كل ذلك بسير القضية في أروقة المحاكم الطويلة، وقرر الأهل دفن فقيدهم، دون أن يتنازلوا عن حقهم في معرفة حقيقة ما جرى، وأن ينال معذبوه جزاءهم وفق القانون، أخيراً، هو في المقبرة، انتظرت الانتهاء من تغسيله بصبرٍ مر، قالت بلهجتها المحرقية العتيقة: "وحشني، بس آبي اجوفه"، طلبت من ابنتها أن تجهز الكاميرا، أرادت ان تأخذ له صورةً أخيرة، صورةً أخيرة لذاك الوجه الجميل، "لكنه لم يكن ابني" هكذا قالت.

لقد تحول ذاك الشاب الجميل إلى جثة مخيفة، تغير ابيضاض لونه إلى اسوداد غريب، وبدت على جسده آثار تعذيب، وساعات طويلة من الوجع الذي لا يحتمل، صدمت أم يوسف مما رأت، صرخت: "لا... ليس ابني، هذه الجثة لا أعرفها، ليس ابني" ثم سقطت مغشياً عليها، لقد كانت صامدة، قوية، مؤمنة بما كتبه الله، لكن منظر ابنها الأخير هزها من الأعماق، جزءٌ منها أراد أن يصدق أن هذه الجثة المبضعة ليست جثة ابنها، سألت أعمامه: "أواثقون أنتم أنها جثة يوسف؟" قالوا: نعم، أخذت بيد أخيها، قالت له: "أنا لا أصدق أحداً غيرك، هل من تراه ممداً أمامنا هو يوسف؟" رد بتألم: نعم. قالت: أصدقك.

لم تستطع أم يوسف أخذ صورةٍ معه، ولا صورة واحده للذكرى، كانت تريد أن تنسى ما رأته فقط، عند الوداع أرادت تقبيله، قبلةً أخيرة يتزود بها في طريق وحشته، لكنها عجزت، كانت أضعف من أن تقترب من غريب لا تعرفه، ما زالت روحها تصرخ بصمت: ليس ابني، أصروا عليها أن تقبله، رفضت، قالت: لا أستطيع، أنا لا أعرف هذا الشخص، لم أعرفه أبداً، بعد إصرار أغمضت عينيها، قبلت جبينه، صرخت بعدها: خذوني لمجلس ابن زياد، لطاغية عصري، أريد أن أقول لهم: "أن ابني الآن يستريح، من عذابٍ طويل، وأنه يهوّن علينا ما بنا أنّه بعين الله، أريد أن أصرخ، أنا أم الشهيد، قد شرفني ابني، ورفع منزلتي وقدري، بأن صرت أم الشهيد".

مرآة البحرين في ليل شباب ١٤ فبراير

أيام السلطة القبيحة هي من صنعتنا مقاومين

أصحاب حكايتنا فتية صغار تتراوح أعمارهم بين السادسة عشرة والخامسة والعشرين. من رحم عقد التسعينيات المرّ خرجوا إلى الحياة، حيث آباؤهم وإخوتهم ضحايا حكايات بطش.

مرآة البحرين (خاص):

أصحاب حكايتنا فتية صغار تتراوح أعمارهم بين السادسة عشرة والخامسة والعشرين. من رحم عقد التسعينيات المر خرجوا إلى الحياة، حيث آباؤهم وإخوتهم ضحايا حكايات بطش لم تفضحها وسائل الاتصال والميديا حينها كما تفعل اليوم. تأملوا في الأيام الجميلة التي وعدوا بها عندما كانت أعمارهم نضارة تحلم بالمستقبل، لكنهم يئسوا حين واجهوا الواقع القبيح المليء بالفساد والظلم والتمييز والتهميش والمحسوبيات.

صغار يقفون اليوم أمام ألعاب الكبار بكل جرأة وبسالة، لم تنجح آلات الموت التي تتهدد كل لحظة من لحظات حياتهم أن ترهبهم أو توقفهم عن هدفهم: حياة حرة يقرر فيها الشعب مصيره. إنهم شباب 14 فبراير.

■ طيور في الظلام

نسألهم: لماذا لا تهابون هذا الدرب رغم وحشته؟ يجيبون: نحن طيور لا نهاب الظلام. هم الآن حسب وصف هذا النظام، أصحاب سوابق، بل خارجون على القانون، تطاردهم العيون وتبحث عنهم الجواسيس في سود الشوارع وأزقات القرى، لا يهابون شيئاً فقد حملوا بين حناياهم جرح وطن ورضعوا همومه في مهدهم.

مرآة البحرين، ذهبت إليهم في أماكن تؤويهم في الليل وبعض النهار. سويعات، قبل أن يغيروا أماكنهم، البقاء في مكان واحد لمدة طويلة سهل الاختراق. هكذا يرون. يتحركون بذكاء يفوق أعمارهم. يتبعثرون في كل مكان، مثل أوراق البلوت التي تتناثر، ليتمكن بعض اللاعبين من فهم اللعبة، والفوز.

معهم ستجد أدوات الثورة: ميكروفونات، بعض لوازم الإسعافات الأولية، عصابات للرأس. وستجدهم يجلسون، كلّ مطرق في حاسوبه الشخصي، يلعب في مفاتيحه. صغارٌ هم، لكنك حين تجالسهم، ستتجرأ أن تتهم أرقام البطاقة السكانية التي تشير إلى أعمارهم، أنها تكذب.

■ من أنتم

بادرناهم بسؤال (يشبه سؤال القذافي لشعبه في عز ثورته): من أنتم؟

ينظر أحدهم للآخر بابتسامة، يجيب أحدهم: نحن شباب نطالب بحقنا الذي حرمنا منه، يجمعنا هم الوطن ووحدة المصير. كلنا مطلوبون في عدد غير قليل من القضايا الوهمية والملفقة، لم نرتكب جرما غير أننا نخرج بطرق سلمية ومشروعة على النواصي وقوارع الطرق لنهتف بمطالبنا.

معظمهم تعرضوا للسجن منذ خطت شواربهم وأصبحوا رجالاً. يقول محدثنا: «أغلبنا عليه قضايا تتراوح بين ثلاث إلى تسع، لا نعرف عنها شيئاً سوى ما يصلنا من أخبار».

يضيف: «بعد تخرجنا من الثانوية العامة، لم نجد أبواب المستقبل مشرعة لنا كما كنا ننتظر ونترقب كأي جيل مقدم على الحياة في وطنه، كل الأبواب كانت مقفلة في وجوهنا، لم نر الأيام الجميلة التي وعدنا بها منذ 2001، كنت أنتظر هذه الأيام الجميلة، لكني صدمت بالا مستقبل، صرت أقضي وقتي بالسهر خارج البيت، تجذبني خطب القادة أمثال الأستاذ حسن مشيمع والأستاذ عبدالوهاب حسين، هؤلاء فقط كانوا يحملون هم جيلنا وهم الأجيال القادمة التي لا أفق لمستقبلها، كانوا يحاربون من أجل أن نعيش حياة أفضل، أدركت من خلال تتبعي لخطبهم أن في الوطن الذي انتمي إليه خطأ، برغم وجود البرلمان إلا أنه لا يمكن إغفال أن هناك خللاً واضحاً يستلزم المطالبة بإصلاحه».

يكمل: «كان تخرجي من المدرسة في 2008، لا شيء غير اللا مستقبل ينتظرني. في منتصف العام بدأ تحرك شعبي كبير للمطالبة بالاصلاح السياسي، صار همي التعرف على الشباب الذين يقودون التحركات الاحتجاجية في القرية، انضممت إليهم. انخرطت في المجموعة وبدأت أنزل معهم الشارع حيث أكون وجها لوجه مع المرتزقة، كنا فقط نقوم بإحراق الإطارات تعبيراً عن احتجاجنا، لكن هذا كان كفيلاً بحضور قوات الأمن إلينا. في البداية كنت أجهل كل شيء لم أكن أعرف لماذا عيني تدمع من الدخان الكثيف الذي يخرج من أنبوبة صغيرة قريبة مني يرشقها علينا أحد رجال الأمن، لم أعرف مسيلات الدموع، إلا حين شاهدته وسألت أصحابي عنه، كان عالماً جديداً ومهيباً دخلته بملء إرادتي لقناعتي بضرورة التغيير، وفي المقابل كنا نقوم بمشاغبتهم بطرقنا التي تكفل لنا أن نحمي أنفسنا منهم».

■ مؤمن بالنصر

يسود الهدوء برهة. الجميع مطرقون برؤوسهم. كأنهم يتذكرون تلك الأيام التي عاصروها، التجارب متشابهة. تطلعت إلى أحدهم، كان يتوسطهم، فهمت من الإيماءات العامة أنه قائد المجموعة. شاب ضئيل الجسد حنطي اللون سحنته متواضعة. ابتسم لتلك الإيماءات وكأنه ينكر نفسه قبل أن يلتفت. بادرناه بسؤال: هل تدرك أنك خارج على القانون وأنك مجرم في العرف الحكومي؟ هز رأسه ولا تزال ابتسامته تعلو محياه، بأنه يعرف ذلك.

أضفت: هل تدرك أنك قد تضيع نفسك، فقد لا تنتهي القضية وتلجم الثورة؟

أجاب من فوره وبثقة كبيرة: أنا مؤمن بالنصر، مؤمن أن الوضع سيتغير يوماً وقد يكون قريباً.

أعدت السؤال بصيغة أخرى: أنتم شباب ضائع في متاهة، ماذا ستفعلون؟

أجاب: بل نحن من يصحح الأمور، لنذكر بأننا لا نزال نطالب بالحقوق، أجل استطاعوا بقبضتهم الأمنية أن يبعثرونا، لكنهم لم يتمكنوا من إرهابنا، بل زادونا إصراراً أننا على الدرب الصحيح، نحن اليوم أكثر قناعة أن هذا النظام فاسد ولا يمكن أن يعمل يوماً من أجل تحقيق مطالب الشعب العادلة، هو يعمل من أجل بقائه فقط، ولو كلّفه الأمر إبادة شعب كامل، هذا النظام لا يستحق أن يبقى، لا يستحق هذا الشعب.

أضاف: اليوم ليس كما كان قبل عامين، حين بدأنا الدخول إلى المعترك السياسي كشباب يطمح إلى التغيير، حينها لم يساندنا غير الشباب، الأهالي لم يكونوا معنا بل يلوموننا. اليوم تغير الحال. اليوم هي ثورة بكل مقاييسها، يساندنا الكبير والشيخ والأب والأم والنساء قبل الصغار والشباب، الجميع مؤمن أن الظلم لم يعد محتملاً أكثر، وأن الاستبداد قد تجاوز مداه الأقصى. اليوم نرى ذلك البهاء الذي يجعلني متيقناً أننا على أعتاب نصر لا محالة، فكل بطش وقمع يمارسه الأمن وتطغى فيه السلطة ويقتل فيه الشباب وتضيق فيه المعيشة يجعل الناس كلها تؤمن أن النظام الحالي لا يصلح أن يحكمها، وبات هذا عرفاً مشتركاً، ساعدنا على أن نتنقل بين البيوت، فالكل يتعاون معنا ويؤوينا ويساعدنا».

يكمل: «بل أكثر من ذلك، أنتا لم نعد نحمل عناء الخروج في مسيرات، مجرد الإعلان عبر شبكات التواصل المجتمعي نرى ذلك التجمع الكبير والمفرح من الأهالي، يأتون ليقولوا لنا فعلاً لا قولاً، نحن معكم على هذا الدرب».

■ لم نعد وحدنا

يتنهد لمرآة البحرين، ثم يكمل: «هل تعلمون كيف كنا نقاسي قبل ذلك؟ كنا نصارع وحدنا أناساً ليس لهم ضمير، في تلك المرات التي كنت أخرج فيها تم اعتقالي مرات عديدة، كانوا يعذبوننا بطريقة بشعة لردعنا عما نحن سائرون عليه، ورغم ذلك لم نرتدع، سجنا بقضايا لفقت لنا ونحن بريئون منها، خرجنا بمكرمة لا تمت للكرم بصلة كمن يسرق ليتصدق».

«جهاز الأمن الوطني كان يمارس معنا أبشع أنواع التعذيب، أولئك مجرمون محترفون يدربون على الإجرام والاختطاف والتعذيب بطرق تختلف عن تعذيب المراكز، اختطفونا ذات مرة بينما كنا مجموعة من الشباب داخل سيارة، بدأت سيارة تتبعنا من الخلف ثم تم إيقافنا، كانت السيارة مدنية وبها أشخاص مدنيون ملثمون، أوقفونا في مكان مظلم وأوسعونا ضرباً مبرحاً وهم يتلفظون بتلك العبارات المخجلة والمقرفة، ساقونا إلى أحد المراكز القريبة وزادوا في ضربنا وتعذيبنا ولم يكتفوا بذلك بل راحوا يهددون أعراضنا. كان تعاملهم مختلفاً، ألفاظهم نابيةً، وكانوا ملثمين ويتحدثون باللهجة البحرينية، لم يكونوا مجنسين وكانوا صغار السن. أطلق سراحنا بعدها، كان الهدف ترهيبنا. في تلك الفترة لم يكن الأهالي متعاطفين معنا، رغم المحطات الحافلة بالتعذيب والضرب والتشرد والملاحقة، لم نكن نحظى بتأييد الأهالي ولا حمايتهم، كانوا يلوموننا ويوبخوننا، ومع ذلك لم يهزنا رصاص ولا سجن ولا تعذيب، اليوم الجميع على قلب واحد وإيمان واحد بأن القضية هي قضية وجود، قضية حياة أو موت، هذا النظام يريد أن يبيدنا ويسحقنا بالكامل.

سألناه: ما دور الأهالي إذا في ما انتم عليه؟ أجاب: خدمتنا كثيرا تعاطف الأهالي مع الثورة وتشجيعهم لها، فمن تشجيع معنوي إلى حضور في المسيرات إلى تبرعات مالية كلها سبب في استمرار الحركة الاحتجاجية في الشوارع والقرى».

■ النظام صنعنا مقاومة

المرآة: ماذا عن تحركهم كمطلوبين للأمن في قضايا أمنية؟

يجيب: نحن مطلوبون منذ بدء قانون السلامة الوطنية، إلا أننا نلعم بحركة انسيابية وغير متكلفة لكنها تتسم بالحذر، الأهالي يشملوننا بالرعاية والحرص على أن نكون في أمان ولا يمسنا سوء، وفي أضعف الحالات يمدوننا بالدعاء، إنهم سندنا ونحن فخورون بذلك، صحيح نحن لا نستقر في بيت ولا نستطيع أن نمكث في بيوتنا، لكننا على تواصل مع أهالينا ولله الحمد».

يضيف: «هم من صنع منا حركة مقاومة -يقصد النظام- اتهمونا بالإرهابيين، رغم أن ثورة 14 فبراير سلمية لأبعد الحدود، فلم نعد نحرق الإطارات رغم أنها من الأفعال السلمية، لم نعد نلقي الملتوفات، لم نعد نصنع الكمائن، والدليل أنهم يدخلون بحرية في باحات القرى دون خوف بعد أن كانوا يخافون الوقوف على مداخلها في السابق».

وهل تؤيدون السلمية؟ سألت مرآة البحرين، يجيب الجميع: «نحن مع السلمية، فهي خط ممانعة وإن بدا واهناً في نظر البعض، لكنها السبيل لجعل الثورة يجتمع عليها الكل دون استثناء، وجعلها تكسب تعاطفاً دولياً وإن كان غير مجدٍ الآن، لكنها كانت سبباً في تحشيد المسيرات الانتفاضية وكثافة الحضور، ولو كررنا ما كنا نقوم به في التسعينات، سنكون كصبية مخربين كما يأتي به الإعلام، لكننا لسنا كذلك، نحن شباب 14 فبراير مشعل الثورة، لكن الشارع كله يتحرك ولا يمكن إيقافهم».

المرآة: كشباب 14 فبراير، هل أنتم منتشرون في جميع مناطق البحرين؟

«نحن نتعاون مع بعضنا البعض، ليست لدينا مركزية، السمة التي تجمعنا هي إن ما يتم إعلانه من فعاليات تصبح أساسية في جدول أعمالنا. نحن اليوم على خط تماس بجميع شباب الثورة، والدليل أن حركة انتقال شعلة الثورة كان سرياً، لكنه حدث بالتعاون بين الشباب في القرى التي مرت بها الشعلة. كذلك نشر المواد الفيلمية والصور وأخبار القرى ووصولها إلى كافة الجهات وحتى إلى القنوات التي تتشر عن ثورتنا، هناك تعاون بالطبع فنحن نحرص على الامتثال لكل ما يعلن عنه الائتلاف من فعاليات، ولكن يبقى لكل قرية مركزيتها ونتفق في تعميم الفكرة».

المرآة: كلمة أخيرة

«النصر قريب صدقوني» أجاب قائدهم، «هذا الجيل هو من سيكتب النصر. هناك حماسة غريبة رغم قوة البطش وقوة التعذيب وازدياد الطغيان، إلا أن من يخرج من السجن يخرج أكثر صلابة وإيماناً بأنه على حق ولابد أن يستمر، وهذا ما يضعف النظام ويجعله في حالة من التوتر والتخبط. لن نتوقف ساعة، سنلملم صفوفنا دائماً لنعود أقوى».

بعد احتلال السلمانية، الساحات عيادات ميدانية

مرآة البحرين (خاص):

عسكرة مستشفى السلمانية واحتلاله من قبل وزارة الدفاع، كان أحد أهدافه التحكم في كل ما يرد إليها وما يخرج منها، ومن ثَمّ محاصرة الاحتجاجات والإصابات التي لن تجد لها مفراً من الوقوع في يد الأمن عبر مرورها بالمستشفى الرئيسي في البحرين. نشطاء وثوار ميدانيون يحدثون (مرآة البحرين): «تصور النظام أنه باستيلائه على المستشفى وسيطرته عليه وإدارته عسكرياً وأمنياً سيردع الاحتجاجات ويبث الخوف في صفوف الثوار ويقعدهم في منازلهم خشية التعرض لرصاص غدر المرتزقة ووصولهم للمحطة الأخيرة، أو الفخ الأخير، وهو مستشفى السلمانية والاعتقال، لكن آمال الثوار فاقت آمال النظام باستمرارهم في حراكهم واحتجاجاتهم كما فبراير وما بعده، دون مبالاة بما يؤول إليه مصيرهم وما تلاقيه أرواحهم»، هكذا كان لا بد من بديل، ولو بإمكانات متواضعة. من هنا جاءت فكرة إنشاء مراكز علاج ميدانية لإسعاف الثوار في البيوت وبعض المنشآت الأهلية، بسواعد الكوادر الطبية والتمريضية المتطوعة القاطنة في المناطق التي يشتعل فيها حراك الثوار.

لماذا الميداني؟

إحدى الممرضات المتطوعات في عيادة ميدانية، تشرح الحال الذي وصل اليه مستشفى السلمانية بعد الاحتلال العسكري: بعد احتلال مستشفى السلمانية والمراكز الصحية الرئيسية من قبل الجيش، تمت السيطرة التامة على جميع الخدمات الصحية فيه بتركيب كاميرات تجسس وتوظيف البلطجية بصفة حرّاس أمن للتجسس على الموظفين والمرضى لمنع العلاج ورصد كل التحركات. من هنا نشأت الحاجة للعيادات الميدانية التي تعالج المصابين دون تعريضهم للخطر، كما أن كثرة الإصابات في صفوف الشباب الثوري في المناطق النشطة كان دافعاً لذلك"

تواصل "أيضاً من ذلك الحين، لم تعد هناك استجابة لاتصالات الحالات الطارئة، وصار ممنوعاً خروج سيارات الإسعاف إلى القرى الثورية، مع تضييق الخناق على وصول الإمدادات الطبية من أي مصدر". تضيف: "أعضاء (منظمة أطباء بلا حدود) ومنذ شهر تقريباً اجتمعوا مع بعض مسئولي وزارة الصحة وطلبوا مساعدة هذه المواقع الميدانية وإمدادها بما يلزمها من أدوات ومواد، ولم يتم التطرق إلى فتح أبواب العلاج أمام المصابين والجرحى من ضحايا الاحتجاجات. ثم تلفت إلى أنه "لم يسبق لأي أحد من أعضاء هذه المنظمة قام بالتصرف بهذه الطريقة واللجوء إلى جهة رسمية أو حكومية وطرح هذا الأمر لمعرفتهم بخبايا النظام وماهية التعامل مع الجانب الحكومي في ما يخص حركة الإعتداءات الوحشية المتعمدة من قبل قوات الشغب بالهراوات والعصي الكهربية والأسلحة البيضاء والدهس المتعمد بالسيارات ورمي الشباب من أعلى أسطح المنازل مخلفة نتائج إما طفيفة أو بليغة وأحياناً مميتة، سواء كانت بسبب الكسور أو الرضوض، النزيف الخارجي أو الداخلي الذي يجبر الفريق على إحالة مثل هذه الحالات البليغة للمستشفى خوفاً على حياة المصاب وتناسي اعتقاله. وكما هو الحال بالنسبة لإصابات العين المباشرة وغير المباشرة، فقد تم رصد وتوثيق حوالي خمسين (50) حالة فقدان العين. آخر الحالات هي النفسية والصدمات العصبية كالألم التي أقدمت على حرق نفسها حزناً على ابنها المعتقل".

■ الميدان علمني

إحدى الطبيبات المتطوعات تروي لمرآة البحرين تجربتها في العمل الميداني، وما شاهدته من حالات بين صفوف ثوار 14 فبراير: "وظيفتي الأساسية ليس لها علاقة بالإسعاف، وإنما وجدت نفسي أقوم بدور (مسعف أولي)، بحكم خبرتي الصحية مهنياً. فمنذ انطلاق ثورة 14 فبراير في البحرين، احتضنتني الخيمة الطبية في ميدان اللؤلؤة بجميع كوادرها المهنية، من هنا بدأت تجربتي في ممارسة العمل التطوعي، لم يكن لي دور كبير في المساعدة في علاج المصابين والجرحى، فالدور الرئيسي للأطباء والممرضين ومهمتنا اقتصرت على القيام بالدعم الجانبي لهم".

توضح: "قبل عسكرة مستشفى السلمانية كانت تجربتي الأولى كمسعف ميداني في يوم الهجوم على المرفأ المالي، فقد كنا مجموعة صغيرة ولم يكن معنا طبيب أو ممرض، وكانت المرة الأولى التي أواجه فيها عدداً كبيراً من الجرحى، بإمكاني أن أصفها أنها أول تجربة ميدانية حقيقية، فقد استخدمنا سيارة كبيرة خاصة لانتشال وإسعاف الجرحي دون توقف، وتقييم الحالات والتواصل مع سيارات الإسعاف، منذ تلك اللحظة اتجه بي الحماس للمساهمة في العمل الميداني وازداد شغفي لمساعدة وإنقاذ أبناء وطني".

تضيف "بعد عسكرة مستشفى السلمانية وحصار معظم المراكز الصحية أصبح العمل الميداني أكثر خطورة من نواحي متعددة، وقد ترددت في بداية الأمر في مواصلة العمل لعدم خبرتي الكافية في معالجة الحالات المختلفة، وليس لدي قنوات للاتصال مع المسعفين ذوي الخبرة الفعلية، فالخوف وعدم الثقة الذي حدث بين العديد من موظفي وزارة الصحة ساهم في ترددي أيضاً، لذلك انحصر نشاطي في منطقة سكني بالتعاون مع ممرضين ومسعفين من نفس المنطقة لمساعدة الثوار، وبالرغم من تزايد حدة القمع وحدوث الإصابات تمكّنتُ من التواصل مع عدد من المسعفين الميدانيين ذوي الخبرة وتنسيق الجهود في تغطية فعاليات الثوار في مناطق مختلفة".

وعن شعورها وتجربتها تقول "لا أستطيع أن أصف تجربتي مع العمل الميداني بالشكل الدقيق، لكنها من أقوى التجارب التي عشتها في حياتي، فالشعور الذي ينتابني عند إنقاذ شباب الثورة وتخفيف آلامهم شعور لا يوصف؛ فكلمة الشكر أو نظرة الإمتنان التي نتلقاها من الجرحى تنسينا كل المخاطر والصعوبات التي نواجهها في هذا العمل، وتكون لنا الدافع لمواصلة المسيرة الطبية والإنسانية، "رحم الله والديك" والدعوات الصادقة من ذوي الجرحى تخفف عنا الشكوى من السهر والتعب والاستمرار في إنقاذهم".

تختم: "لقد تعلمت من تجربتي هذه خلال شهور قليلة ما لم أتعلمه خلال سنين دراستي الأكاديمية الطويلة؛ أتاحت لي فرصة التعامل مع حالات عديدة ومختلفة وتعلمت من زملائي المسعفين والطاقم الطبي والتمريضي علاج مختلف الحالات وكيفية التعامل معها، لازلت كل يوم أتعلم الجديد لإنقاذ حياة الناس من أجل كرامتهم".

الأداء الأميركي تجاه ثورة البحرين:

صداقة القتلة والسفّاحين ليست عيباً

في 1 فبراير 2011 اتصل نائب الرئيس الاميركي جوزيف بايدن بملك البحرين حمد بن عيسى آل خليفة. في إشارة واضحة بأن الأميركيين يستطلعون وضع حليفهم الذي يتوعده مواطنوه بثورة. ربما ضحك الاثنان أثناء المكالمة، فالشعب الخليجي الذي تم تنميط صورة مهينة له لن يثور! أليس كذلك؟!

جاء اليوم الموعود للثورة. الاثنين 14 فبراير 2011، سقطت الرهانات وسقطت معها الصورة النمطية المُهينة للأبد. فاجأ شعب البحرين الجميع بثورة عارمة أجبرتهم على الصمت ومراقبة الأمواج البشرية التي تهتف بالحرية في الشوارع رغم القمع الدموي الذي أسفر عن سقوط شهيدين خلال يومين فقط، ووصول الجماهير الثائرة إلى الموقع المركزي للاعتصام في دوار اللؤلؤة.

خرج الملك ليعتذر لشعبه، وبعدها بسويعات كان قد أطلق جيشه وحرسه الوطني ومرتزقة وزارة الداخلية لقتل المعتصمين النائمين الذين كانوا يحلمون بالحرية في خيامهم بدوار اللؤلؤة. اقتلعت القوات المتظاهرين وتسلم الجيش موقع الدوار وأصدر بيانه رقم واحد.

17 فبراير 2011، وزيرة الخارجية التي كانت تتسلم التقارير التفصيلية من المنامة تحذر من انفجار التظاهرات، فقد صرحت لأول مرة أن الولايات المتحدة تدعم إجراء تغيير "حقيقي وملموس" لشعب البحرين وتحث الحكومة على التحلي بضبط النفس قبل احتجاجات متوقعة يوم الجمعة. وصفت كلينتون البحرين بأنها بلد "صديق وحليف" وقالت إنها أبلغت نظيرها البحريني " بأهمية ألا يشوب ذلك أعمال عنف مع الأخذ في الاعتبار أنه ستكون هناك جنازات عقب صلاة (الجمعة) غداً. وقالت للصحفيين "إننا ندعو الى تغييرات حقيقية وملموسة للناس هناك".

• ضبط النفس

من جانبه حث البيت الأبيض حكومة البحرين بعد مجزرة يوم الخميس 17 فبراير على التحلي بضبط النفس تجاه المحتجين سلمياً. هكذا ببساطة، لا إدانة في الموقف الاميركي "ضبط النفس". أقصى ما قاله جاي كارني المتحدث باسم البيت الأبيض للصحفيين إن الولايات المتحدة تعارض استخدام العنف ضد المحتجين. التوقع الأميركي لم يخب فقد انطلق يوم الجمعة مئات الشبان يتقدمهم البطل الأسطوري الشهيد عبدالرضا بوحميد ليواجهوا رصاص الجيش الذي أطلق الرصاص- لأول مرة في تاريخه - باتجاه المواطنين العزل.

رأى الأميركيون المشاهد المروعة التي نقلتها شاشات التلفزة العالمية لمواطنين عزل يستقبلون رصاص الجيش المدعوم أميركيا بالكامل بصدورهم العارية. الإحراج كان شديداً، لذا بادر الرئيسي الذي خسر حليفه المصري حسني مبارك منذ أيام فقط (11 فبراير2011)، للاتصال بحليفه الملك البحريني، وجاء في الخبر الذي تناقلته وكالات الأنباء أن الرئيس الأميركي بارك أوباما أدان في اتصال هاتفي أجراه الجمعة مع ملك البحرين، استخدام قوات الأمن البحرينية العنف ضد المتظاهرين ما أسفر عن سقوط أربعة قتلى وعشرات الجرحى.

أعلن البيت الأبيض في بيانه "إن الرئيس اوباما أجرى مكالمة مع ملك البحرين حمد بن عيسى ال خليفة هذا المساء لبحث الوضع الراهن في البحرين". وتابع البيان ان اوباما "كرر انه يدين العنف الذي استخدم ضد متظاهرين مسالمين وحض حكومة البحرين على ضبط النفس ومحاسبة المسؤولين عن العنف". وأضاف "قال الرئيس إن الولايات المتحدة، بصفتها شريكة للبحرين منذ زمن طويل، تعتقد ان استقرار البحرين يتوقف على احترام حقوق شعب البحرين وعلى (اعتماد) عملية اصلاحات مهمة تلبي تطلعات البحرينيين.

• ورقة ولي العهد

أدخل الأميركيون ورقة ولي العهد الذي دعا لسحب الجيش، وعودة الهدوء وقال ان من حق الناس التظاهر. عاد المتظاهرون إلى دوار اللؤلؤة في اليوم التالي 19 فبراير بعد انسحاب الجيش وقوات المرتزقة التي كانت تحاصر المكان.

• تصريحات غيتس

ضَمّت وزير الدفاع الأميركي عن النوايا السعودية. وصل بعدها إلى البحرين التي كان الوضع فيها يتدهور أمنياً، التقى جيتس ولي العهد الأمير سلمان بن حمد، الذي كان يخوض نقاشات حامية خلف الكواليس مع المعارضة لتأسيس قاعدة صلبة لحوار حقيقي يتم ختامه باستفتاء شعبي.

قال غيتس في تصريحاته العلنية"ينبغي على البحرين إجراء إصلاحات سياسية جوهرية وسريعة لوضع حد لأي صغيرة تم سحبها لاحقا، فيما أحجمت الكويت عن التدخل سوى بحرياً ، أما عمان فقيل أن قواتها الجوية ستساهم في حماية الأجواء البحرينية لكن لم يتبين للبحرنيين أثر التدخل العماني.

تعرض البحرينيون من القادة السياسيين والحقوقيين والمواطنين العاديين خصوصاً من الطائفة الشيعية، إلى أسوأ حملات القمع، حملة قمع مست كل شيء في حياتهم، مست الأنفس، والأموال، والمقدسات الدينية، والأعراض، لقد تجاوزت أنواع الانتهاكات التي حصلت في الجزيرة الصغيرة 50 نوعاً. من الأنواع التي حددتها المنظمات الحقوقية العالمية. ابتكر النظام المدعوم أميركياً ومعه حلفاؤه الخليجيون انتهاكات جديدة لم تحددها قوائم المنظمات العالمية.

ترك الأميركيون حلفاءهم يعيثون فساداً في الأرض، وركزوا إعلامهم وجهودهم نحو ليبيا، كانت الصفقة واضحة ضرب ليبيا بغطاء عربي خليجي كامل، مقابل صمت أميركي عن إبادة البحرينيين وهو الأمر.

• غطاء هيلاري

وزيرة الخارجية الاميركية هيلاري كلينتون، قالت في تصريح لها بعد دخول القوات السعودية والاماراتية والقطرية البحرين لمشاركة الجيش المدعوم بقوات سبعة أجهزة أمنية، إن دخول قوات (درع الجزيرة) هو عمل قانوني، وحثّت على ضبط النفس! هكذا ببساطة. صحيح أنها قالت ان الحل في البحرين هو حل سياسي وليس عمل عسكري، لكنها ختمت تصريحها بما يمكن عدّه كوميديا سوداء، إذ قالت "إن من الضروري أن تتفادى جميع الأطراف العنف والاستفزازات". من عاش في البحرين منذ 16 مارس 2011 يعرف إلى أي مدى يغرق هذا التصريح في العته والكذب والزور، كان الناس محاصرين يتلقون أقسى الضربات والانتهاكات ولم يكن لديهم سوى أصواتهم التي يرفعونها مرتين ليلياً عند الثامنة والعاشرة بهتاف (الله أكبر).

لقد شرعنت كلينتون أساس وجود القوات التي احتلت الجزيرة وحاولت اغتيال حلم البحرينيين العُزّل بالحرية، وطفقت تتحدث عن ضبط النفس وتفادي الاستفزاز والعنف من جميع الأطراف. استدراكات لم تخفِ بشاعة الجرم الأميركي الذي مثّل في حده الأدنى تقديم غطاء وشرعنة وإطار قانوني للجريمة.

بعد شهر كامل من القمع والقتل والهتك الذي مارسته قوات النظام مع حلفائها، بدأ الإعلام العالمي يعطي حيّزاً لما يحصل في البحرين من بشاعات على يد الأجهزة الأمنية التي يتحكم الملك وعائلته فيها، إضافة للقوات الخليجية، وكان تقرير مراسلة قناة السي ان ان الحكومة قبل البدء بأي حوار، وعددا آخر من الشروط. قال فيلتمان بانحياز تام في تصريحه الشهير في أوائل شهر مارس: "الشروط مرفوضة". بذلك قطع بصفته ممثلاً عن الولايات المتحدة الاميركية الطريق لتأسيس حوار حقيقي، كان واضحاً أن فيلتمان ينتظر شيئاً قادما من وراء البحار!

لم يطل انتظار فيلتمان، ففي يوم السبت الموافق 12 مارس 2011 وصل وزير الدفاع الاميركي روبرت غيتس إلى السعودية للتباحث طبعاً في الشأن البحريني، وكان الحديث الحاسم بينه وبين ولي العهد السعودي نايف بن عبدالعزيز الذي قال له – حسب وسائل إعلام فرنسية- إنه لن ينتظر سقوط الحكم السعودي كما سقط نظام مبارك، وأنه سيتدخل في البحرين عسكرياً.

(امبيرا ليون) أول ثغرة في جدار الصمت الرهيب تجاه البحرين. سلط الإعلام الأميركي أضواءه من جديد، وتحدث مسلئو المنظمات الحقوقية العالمية عمّا رصدته منظماتهم من بشاعات، فانحرجت الإدارة الأميركية فبعثت فيلتمان مجدداً!

جاء جيفري فيلتمان للمنامة يتحسس ما إذا كانت الضحية ستستسلم أم لا، كان جواب المعارضة على لسان القيادي الوفاقي خليل المرزوق (لن نرفع الراية البيضاء.. أخبر حلفاءك أن حملة القمع لن تفيد). عاد فيلتمان ليكمل حلفاؤه ما بدأوه قبل شهر. أما وزير خارجية النظام فقد استبق لقاء فيلتمان بالتأكيد على بقاء قوات درع الجزيرة. وحاولت مفوضة الاتحاد الأوربي (اشتون) زيارة البحرين لكنها فشلت؛ فقد اسمعها السعوديون كلاماً قاسياً، وسافر الملك للإمارات لكي لا تصل هي للبحرين. ففشلت زيارة أشتون.

صمود المعارضة المعزز بالثبات الجماهيري، منع سقوط أي مطلب من المطالب السياسية التي رُفعت أثناء اعتصام دوار اللؤلؤة، ساهمت هذه الحقيقة في التأكيد للأميركيين أنه لا يمكن لأحد أن يوقع في المعارضة ورقة استسلام، رغم مخاضات الآلام الرهيبة التي كان يعيشها الشعب كل دقيقة.

• اتصال أوباما

بعد نحو عشرة أيام من عودة فيلتمان إلى الولايات المتحدة، وتحديداً في الأول من مايو 2011 أجرى الرئيس الأميركي اتصالا هاتفيا مع حليفه الملك البحريني، قال في الجانب المعلن منه إن استقرار البحرين يعتمد على احترام حقوق الجميع، وأن الولايات المتحدة تعتقد أن البلد بحاجة إلى عملية إصلاح جوهرية تستجيب لتطلعات كل البحرينيين. وجاء في بيان صدر عن البيت الأبيض تلك الليلة إن الرئيس اوباما بحث مع العاهل البحريني "الوضع القائم في البحرين". حاول الأميركيون التحرك لكي يخففوا انتقادات الإعلام والحقوقيين تجاه موقف إدارتهم المخزي.

وبعد 18 يوماً وتحديداً يوم 19 مايو ألقى الرئيس الأميركي خطاباً حول الأوضاع في الشرق الأوسط، قال فيه كلاماً غطّى فيه الأفعال الشنيعة لحلفائه تحت مسمى (الحق في استتباب الأمن)، لكنه اعترف أن كل ما حصل لم يقض على المطالب السياسية التي عضّ عليها شعب البحرين رغم الجراح.

قال أوباما في ذلك الخطاب "البحرين شريك طويل المدى، ونحن ملتزمون بأمن البحرين، ونحن ندرك أن إيران حاولت استغلال الأوضاع في البحرين، وأن الحكومة البحرينية لديها حق مشروع في استتباب حكم القانون، لكننا أصررنا علناً وفي لقاءات خاصة أن القوة يجب ألا تستخدم ويجب احترام الحقوق المشروعة لشعب البحرين، وأن هذه الخطوات لن تجعل تدخل إيراني محتمل". وقال للصحافيين – بحسب ما نقلت وكالة الأنباء الفرنسية – في طائرته العسكرية بعد زيارته للمنامة انه "رغم عدم وجود أي إشارة على تورط خارجي في التحركات الاحتجاجية التي انطلقت في الرابع عشر من فبراير 2011، فإن إيران قد تتدخل في الوضع السياسي في البحرين بسبب التكوين المذهبي".

لم يُشر جيتس للخطر الحقيقي الذي كان يتهدد البحرينيين، تحدث عن احتمال تدخل إيراني. إشارة لم يلحظها أحد حينها، أوحت بأن ثمة خطراً ما يتهدد البحرين من جهة الشرق، لكن الحقيقة أن آلاف المدرعات عبرت بعد ساعات من رحيل غيتس من جهة الغرب، دخلت القوات السعودية والإماراتية، ومعها قوة قطرية

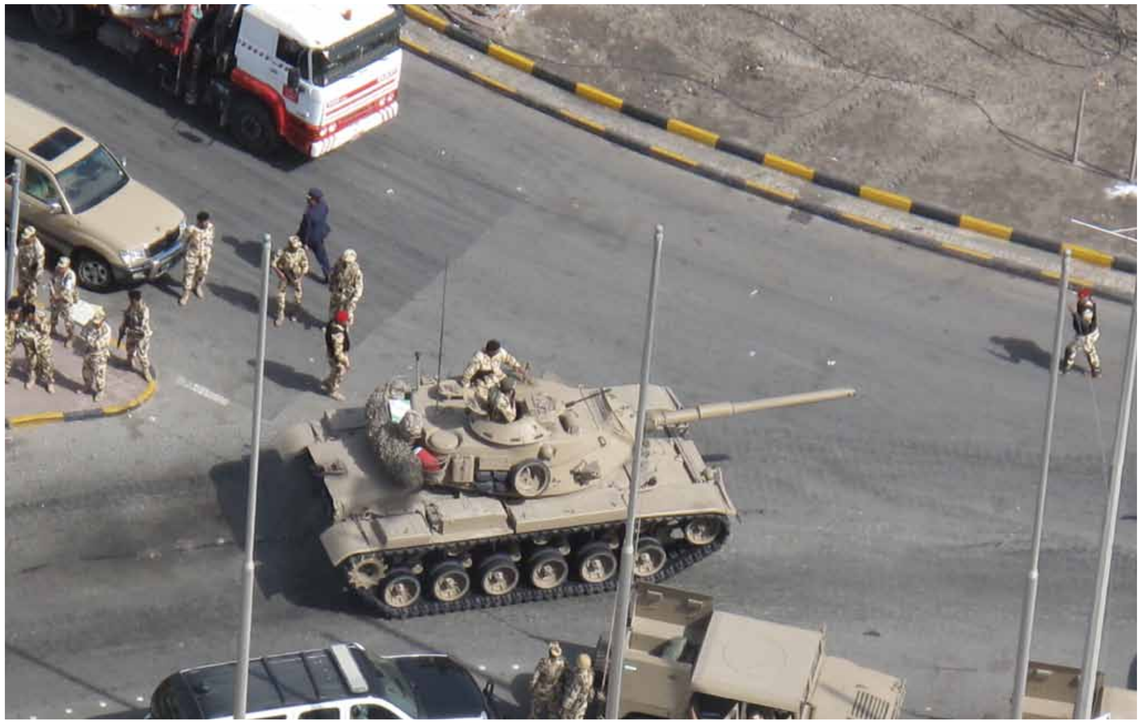

وتحديداً في الأول من مايو 2011 أجرى الرئيس الأميركي اتصالا هاتفيا مع حليفه الملك البحريني، قال في الجانب المعلن منه إن استقرار البحرين يعتمد على احترام حقوق الجميع، وأن الولايات المتحدة تعتقد أن البلد بحاجة إلى عملية إصلاح جوهرية تستجيب لتطلعات كل البحرينيين. وجاء في بيان صدر عن البيت الأبيض تلك الليلة إن الرئيس اوباما بحث مع العاهل البحريني "الوضع القائم في البحرين". حاول الأميركيون التحرك لكي يخففوا انتقادات الإعلام والحقوقيين تجاه موقف إدارتهم المخزي.

وبعد 18 يوماً وتحديداً يوم 19 مايو ألقى الرئيس الأميركي خطاباً حول الأوضاع في الشرق الأوسط، قال فيه كلاماً غطّى فيه الأفعال الشنيعة لحلفائه تحت مسمى (الحق في استتباب الأمن)، لكنه اعترف أن كل ما حصل لم يقض على المطالب السياسية التي عضّ عليها شعب البحرين رغم الجراح.

قال أوباما في ذلك الخطاب "البحرين شريك طويل المدى، ونحن ملتزمون بأمن البحرين، ونحن ندرك أن إيران حاولت استغلال الأوضاع في البحرين، وأن الحكومة البحرينية لديها حق مشروع في استتباب حكم القانون، لكننا أصررنا علناً وفي لقاءات خاصة أن القوة يجب ألا تستخدم ويجب احترام الحقوق المشروعة لشعب البحرين، وأن هذه الخطوات لن تجعل المطالب المشروعة تختفي". في عبارته الأخيرة يجب أن يكون واضحاً أن أثر الصمود الشعبي لم يكن هيناً بل إنه كان عصياً على الكسر رغم الجيوش ورغم تأكيد أوباما بطريقة ناعمة على حق حلفائه في القمع تحت مسمى استتباب الأمن الذي لم يهزم المتظاهرين السلميين في أي مرة منذ انطلاق ثورتهم.

أوباما أيضاً اعترف أن حلفاءه هدموا مساجد للطائفة الشيعية في إطار حملة القمع، وقال إن من حق الشيعة ألا تهدم مساجدهم. رأى أوباما أن "السبيل الوحيد لاتخاذ خطوة إلى الأمام هو أن على الحكومة والمعارضة أن يبدأ الحوار، ولا يمكن أن يكون هناك حوار حقيقي حين يكون بعض المحتجين السلميين في السجون، وأشار إلى أن الحكومة يجب أن تخلق الظروف المناسبة للحوار، وعلى المعارضة أن تشارك من أجل مستقبل عادل لجميع البحرينيين".

حلّ الأول من يونيو وانتهى مفعول مرسوم قانون السلامة الوطنية. عادت الناس التي لم تتوقف عن التظاهر ما أمكنها، إلى التظاهر بصورة أوسع فاستمر القمع الوحشي. بعد شهر تحركت خلاله ماكينة المعارضة في اعتصامات جماهيرية بدأت ببلدة سار في 13 يونيو 2011. أعلنت الحكومة عن (حوار التوافق الوطني)، ضغطت أميركا بقوة لكي تدخل جمعية الوفاق في هذا الحوار، وبعد مشاورات ومناكفات إعلامية، شاركت الوفاق وانسحب منه قبل انتهائه، وتيرأت هي وجمعيتان معارضتان أخريان هما وعد والتجمع القومي من مخرجات الحوار، وأكدوا أنه لا يمثل رأي الشعب ولا يمكن قبول هذه المخرجات.

• مخرج تقرير بسيوني

في الجانب الأهم، يروي أحد قادة المعارضة أن أميركا هي التي منعت مناقشة وضع حقوق الإنسان في البحرين في مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، يقول "قررت سويسرا طرح الملف البحريني في جلسة عامة، حضرها الاميركيون بعد أن تيقنوا من قدرة سويسرا على جمع العدد المطلوب لطرح الملف البحريني في جلسة رسمية علنية للمجلس، وتعهدوا أنهم سيجبرون النظام البحريني على لجنة تحقيق ذات طابع دولي ويسلزمون النظام بتوصيتها، وأن المطلوب من سويسرا عدم طرح الملف البحريني، إزاء التعهد الأميركي وافق السويسريون وجاء الأميركيون ببسيوني ولجنته التي شكلوها من أفلها إلى يائها".

أنقذ الأميركيون حليفهم من إدانة أكيدة في مجلس حقوق الإنسان، أتى بسيوني للبحرين فلم يتغير شيء، سقط عدد كبير من الشهداء ولم تتوقف الانتهاكات بل مورس منذ 1 يونيو حتى اللحظة العقاب اليومي الجماعي على كل مناطق المعارضة بالغازات السامة.

جرت انتخابات برلمانية تكميلية، ضغط الأميركيون كي تشارك المعارضة فيها رغبة في الايحاء بأن مؤسسات حليفهم النظام عادت للعمل وأن ثمة تفاهماً جرى، رفضت المعارضة بشكل قاطع أن تشارك في المهزلة فأطلق الضوء الأخضر بصورة موسعة للقمع والاستباحة، وصار يوما 23 و24 سبتمر يوميّ عار على النظام إذ مارس فيهما أبشع الجرائم على المتظاهرين السلميين الذين سعوا للعودة إلى دوار اللؤلؤة، فقد حاولت قوات الأمن حرق متظاهرين وهم أحياء في منطقة السنابس، وأعادت مشهد أبوغريب في تكويم المعتقلات البحرينية على الأرض في مجمع السيتي سنتر.

صدر تقرير بسيوني الذي صرحت الوزيرة كلينتون أن إدارة بلادها ستلزم النظام الحليف في المنامة بتنفيذ توصياته، كان ذلك مجرّد هراء، فقد ترك الأميركيون أمر تنفيذ توصياته للنظام الذي قام بكل الجرائم التي وثقها التقرير. تشكلت لجنة برئاسة رئيس مجلس الشورى المُعيّن علي صالح الصالح وأعطيت للمعارضة حصة ضئيلة في عضوية اللجنة، كانت المفاجأة أن الأميركيين ضغطوا أيضاً على المعارضة لكي تشارك، قالوا للمعارضة: كيف سيعود المفصولون لأعمالهم إن لم تشاركوا في اللجنة؟ بدا واضحاً أن الاميركيين يلعبون بدناءة تامة، وانهم يتنصلون من كل شيء يعدون به.

فشلت كل الحلول الترقيعية، وعاد الأميركيون للصمت، وها قد عاد يوم 14 فبراير، يتحير الأميركيون، يصمتون. أعادوا بسيوني لكي يقيّم تنفيذ التوصيات. أعطوه مهلة حتى شهر مارس المقبل، ربما يريدون لحليفهم أن يتمم إجراءات بيع البحرين لحليفهم الأقوى المملكة السعودية التي شاركت في سفك الدماء والاستباحة.

صفقة الأسلحة التي عارضها الكونغرس الاميركي، التفّت إدارة أوباما لتوصلها للبحرين عن طريق التجزئة. سلاح للقتل هل هذا كافٍ؟ لا بالطبع فقد كشفت وثائق مصورة حصل عليها متظاهرون من هاتف أحد مرتزقة النظام، أن ثمة تدريبا عالي المستوى يقوم به المارينز الاميركي، لكل السفاحين والقتلة المرتزقة الذين يجلبهم النظام الخليفي لقمع الشعب، وثائق تكفي لاستكمال صورة المعايير المزدوجة والموقف المنافق لإدارة أوباما تجاه شعب البحرين ومطالبه المشروعة وتقرير بالحرية والدمقراطية وتقرير المصير.

المحصلة أن الإدارة الاميركية أدانت فعل القتل مرة واحدة فقط وتحديداً بعد إطلاق الرصاص الحي في 18 فبراير، ودون ذلك: مبعوثون، لجان، نصائح، حثّ، إشادة... أداء أميركي يقول للعالم بوضوح، إن: صداقة القتلة والسفاحين وتسليحهم وتدريبهم ليست عيباً!

الربيع البحريني: الثورة التي لم تتلفز

آزاده شاهشاني بالتعاون مع كورينا ملن×، صحيفة هوف بوست وورلد
ترجمة: مرآة البحرين.

على الرغم من الموجة الأخيرة للتغطية الإخبارية لإصدار تقرير اللجنة البحرينية المستقلة لتقصي الحقائق، إلا أن قصة الانتفاضة البحرينية المطالبة بالديمقراطية هي الأقل تغطية من بين أخواتها في الربيع العربي، وهذا ينطبق على الإعلام العربي في المنطقة الذي ساهم تشجيعه وتغطيته لانتفاضات أخرى في المنطقة في درجة النجاح الذي ربما حققته تلك الانتفاضات. وهكذا بالنسبة إلى غالبية الصحافة الغربية. هذا على الرغم من أن العنف والقمع اللذين واجهاهما المتحجون في البحرين لا يقل عن ذلك إن لم يكن قد فاق في بعض الحالات مثليهما في أماكن أخرى في المنطقة.

كما أن الثورة البحرينية المرهقة حصلت على دعم حماسي أو مادي أقل بكثير من قبل الحكومات الغربية. ففي تونس ومصر دعمت الحكومات الغربية إظهار "قوة الشعب" مقابل قمع وفساد حلفائهما السابقين، ولو أن هذا الدعم قد جاء متأخراً. وفي سوريا دعوا علناً إلى تغيير النظام، وفي ليبيا تدخلوا عسكرياً لإنهاء نظام القذافي. ولكن على العكس، ففي البحرين كانت هناك دعوات خافتة لإجراء إصلاحات سياسية وإنهاء العنف من قبل نظام ال خليفة القمعي. هذا ليس مستغربا إذا أخذنا بعين الاعتبار كل ما هو على المحك بالنسبة للحكومات الغربية في البحرين.

أولا وقبل كل شيء لأن البحرين هي مقر الأسطول الخامس للولايات المتحدة الأمريكية، تمركزه هناك هو من الأمور الأخرى المحورية المناهضة للديمقراطية في تاريخ هذا الجزيرة الصغيرة. في آب/أغسطس 1975 قام الأمير عيسى بن سلمان آل خليفة والد الملك حمد بن عيسى آل خليفة بحل الجمعية الوطنية (البرلمان) بعد أن فشل في التصديق على تمديد تأجير فترة الوحدات البحرية الأمريكية في البحرين، الشيء الذي وضع نهاية للتجربة القصيرة مع النظام الملكي البرلماني.

فمن المستبعد أن تقل أهمية البحرين الاستراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة في المستقبل القريب. كما قال مؤخراً القائد السابق للأسطول الخامس الأدميرال تشارلز مور، نقلاً عن الرئيس السابق لهيئة الأركان المشتركة وقائد قوة الشرق الأوسط الأدميرال وليام كرو، البحرين هي "مقارنة بالكفاءة وليس الحجم، هي أفضل حليف لدى الولايات المتحدة في كل أنحاء العالم".

هذه المعايير المزدوجة لم تكن لتكون غائبة عن المحتجين في البحرين، وكما قال نبيل رجب ، رئيس مركز البحرين لحقوق الإنسان: "أليست الديمقراطية فقط لتلك البلدان التي توجد لديها مشاكل مع الولايات المتحدة؟"

الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا متواطئون في جرائم آل خليفة

استجابة متأخرة أخرى، أعلنت الحكومة الأمريكية في تشرين الأول/أكتوبر أنها ستوقف صفقة بيع أسلحة للبحرين تصل إلى53 مليون دولار. وكما هو الحال في مصر وتونس، الكثيرون في البحرين اعتبروا هذه الخطوة، فضلا عن تلك التي قامت بها الحكومة البريطانية لوقف تراخيص تصدير الأسلحة إلى النظام القمعي لآل خليفة، أنها جاءت "ضعيفة جداً ومتأخرة جداً". وفي الأشهر التي سبقت بدء الاحتجاجات في شباط/فبراير الماضي، باعت الولايات المتحدة أسلحة ومعدات بأكثر من 200 مليون دولار للبحرين، بما في ذلك 760 ألف دولار من الأسلحة النارية.

الأنباء الأخيرة تقول إنه تم تعيين قائد سابق في شرطة فيلادلفيا وميامي "جون تيموني" من قبل وزارة الداخلية البحرينية لتقديم المشورة بشأن استراتيجيات الشرطة. هذه الخطوة ستخيب أمل المعارضة البحرينية التي كانت تأمل أن يكون التدخل الأمريكي المقبل أكثر إيجابية. وسيكونون أكثر تشكيكاً عندما يعرفون أن أسلوب عمله الشُرطي كان سيئ الصيت إلى درجة أن الصحافي جيرمي سكايهيل قد أسماه "نموذج ميامي تيموني"، وذلك عندما قام هذا الصحافي بتغطية قمع الشرطة للاحتجاجات التي اقيمت في فيلادلفيا سنة 2000 وكذلك احتجاجات منطقة التجارة الحرة لاجتماع قمة الأمريكيتين في ميامي عام2003. استراتيجية تيموني العسكرية في السيطرة على الحشود وصلت إلى استخدامه القنابل الارتجاجية ورذاذ الفلفل والغاز المسيل للدموع والرصاص المطاطي والهراوات المكهربة لتفريق المحتجين.

ومما زاد الطين بلة، وفقا لما كشف عنه مؤخراً، تم دعوة وحدة عسكرية بحرينية إلى الولايات المتحدة لتلقي نصائح حول "السيطرة على الحشود" في تدريبات شرطية سميت "الدرع الحضري أو المدني" عام 2011. حيث شارك في التدريب وحدات من شرطة الحدود الإسرائيلية، والمعروفون بعدم التزامهم بالمعايير الدولية لحقوق الإنسان. فضلاً عن دائرة شرطة أوكلاند ودائرة مقاطعة ألاميدا شريف، واللتين شاركتا في مداهمة عنيفة الشهر الماضي ضد متظاهري "احتلوا أوكلاند"، وهي جزء من حركة الاحتجاج الوطنية / الدولية لمكافحة عدم المساواة الاقتصادية والاجتماعية.

واذا كانوا ينتظرون دعما من بريطانيا الحليف القوي الآخر لحكومتهم فان المعارضة في البحرين ستصاب بخيبة أمل بسبب الرد المتأخر من لندن. لقد استغرق الأمر أشهراً من الحكومة البريطانية لوقف ترخيص تصدير الأسلحة للبحرين، وحتى بعد القيام بذلك، لم يجدوا أي تناقض في دعوة ممثلي الملك لزيارة معرض الأسلحة البريطاني في شهر أيلول/سبتمبر، المعرض الذي قامت بريطانيا ببيع كل شيء إلى النظام ابتداءً من أسلحة "السيطرة على الحشود" والغاز المسيل للدموع وانتهاءً بطائرات أف 16.

واذا كانوا يأملون بأن صدور تقرير لجنة تقصي الحقائق سيؤدي إلى موقف بريطاني إيجابي بالنسبة لحقوق الإنسان في البحرين، فإن المعارضة البحرينية سوف تصاب بخيبة الأمل أيضا عندما تعلم بأنه تم تعيين مساعد قائد شرطة المدينة السابق جون بايتس، الذي استقال من منصبه بعد فضيحة التنصت على الهواتف، وذلك للإشراف على إصلاح قوات الشرطة في البحرين.

تقرير لجنة تقصي الحقائق: «ضعيف جدا ومتأخر جدا»

أنشئت لجنة تقصي الحقائق من قبل الملك في 29 حزيران/يونيو2011، وفقا لأمر ملكي رقم 28، لإعداد تقرير حول الأحداث التي جرت في البحرين في الفترة من شباط/فبراير 2011 والنتائج المترتبة على تلك الأحداث. على الرغم من صدوره بأمر رسمي، فمن الواضح أنه لم يكن هناك نية ليكون الشيعة الذين يشكلون غالبية أهل البحرين هم المخاطبون بهذا التقرير.

لو كان أمر الشعب البحريني مهما في مخططات الملك لكان في المقام الأول أمر لجنة التقصي بإدراج المظالم التي أدت إلى اندلاع الاحتجاجات، والتي يطالب بها العديد من المجتمع المدني البحريني. والتي تشمل التمييز الممأسس ضد الشيعة في الوظائف والسكن والتعليم ،والتمييز السياسي الممنهج ضد الشيعة عن طريق استبعادهم من مواقع السلطة في المؤسسات الحكومية والدفاع، وذلك من خلال الممارسات الطائفية المستندة إلى تفصيل الدوائر الانتخابية والتلاعب في البنية الديموغرافية للبحرين من خلال التجنيس السياسي للأجانب وإعطاء حق التصويت لسنة مواطنين في بلدان أخرى. كل ذلك يرقى إلى الطائفية، وليس إلى النوع البدائي الذي يشير إليه الابتزاز السعودي والقادة الغربيون المروج للخوف، بل تمييز تتسبب فيه النخبة لدواعي الانتهازية السياسية.

تابع تكملة المقال على موقع مرآة البحرين

الضغط مفتاح التأثير في السياسية الأمريكية تجاه البحرين

مرآة البحرين تحاور الدكتور توبي جونز أستاذ التاريخ في جامعة رتجرز الأميركية

هو مراقب مطلع للوضع السياسي في البحرين، كتب ولا يزال الكثير من المقالات والتحليلات التي ناقشت الحراك السياسي في هذه الجزيرة الصغيرة فيما بعد ثورة 14 فبراير، وألقى مجموعة من المحاضرات عرض من خلالها وجهة نظره الخاصة، ونالَه نصيب من الهجوم عبر حسابه على تويتر نتيجة آرائه الداعمة للحراك الديمقراطي في البحرين. إنه توبي جونز، أستاذ التاريخ المساعد في جامعة رتجرز في ولاية نيوجيرسي الأميركية، أميركي الجنسية، عاش في البحرين قرابة العامين مطلع الألفية فقد شغف بتعقيدات وضعها السياسي، فيما شغفت زوجته بتعقيدات موضوع قانون أحكام الأسرة حتى أجرت دراسة بحثية مميزة حوله. اشتهرت مقالاته وتحليلاته في الولايات المتحدة خصوصاً بعد اندلاع الثورة البحرينية في 14 فبراير من العام الماضي، إذ بدت تحليلاته على الدوام قريبة جداً من الواقع كما لو كان على اطلاع مستمر بكل تفاصيل ما يجري في الداخل.

ما هي رؤيته السياسية حول الوضع في البحرين وتعقيداته الحالية، كيف يقيم الأطراف السياسية الفاعلة في الحراك البحريني وما هي وجهة نظره حول الموقف الأميركي منه. كلها أسئلة حملتها إلى ولاية نيوجيرسي وتحديداً جامعة رتجرز الأميركية حيث يقوم توبي جونز بتدريس التاريخ. فكان اللقاء التالي:

مرآة البحرين: ما هو تقييمك العام للوضع السياسي الحالي في البحرين بعد الثورة؟

توبي جونز:الوضع السياسي الحالي في البحرين يمر بأزمة حقيقية، إذ أن المعارضة في الداخل بشتى أطيافها تحاول الضغط من أجل تحقيق مكتسبات ديمقراطية، غير أنها لا تزال تواجه صداً حقيقياً من قبل السلطة التي تبدو بشكل واضح غير قادرة أو غير مستعدة للتنازل، وحتى تحصل حلحلة لهذه المسألة لا أجد بأن هذه الأزمة السياسية نهاية في الأفق.

المرآة: كيف ترى خريطة المطالب السياسية لأطياف المعارضة المختلفة وأسقفها المتفاوتة؟

جونز: لقد وضعت الجمعيات السياسية وعلى رأسها جمعية الوفاق وثيقة حددت فيها سقف مطالبها السياسية، وهي المطالبة بمملكة دستورية ودستور كامل الصلاحيات وحكومة منتخبة. وعلى الرغم من أنها مطالب مفهومة وعقلانية إلا أنني أعتقد جازماً بأن هذه المطالب متأخرة عقداً كاملاً. أعتقد بأن هذه المطالبات وهذا السقف كان صالحاً جداً مطلع الألفية الماضية وفي عهد بداية الإصلاح، لكنه اليوم يأتي متأخراً جداً، وخصوصاً بعد الممارسة السياسية طوال العشر السنوات الماضية وحتى اليوم والتي أثبتت بأن النظام السياسي غير راغب في الإصلاح أصلاً. غير أنني على الرغم من كل ذلك أرى بأن سقف هذه المطالب وجدولتها يبدو منطقياً جداً وقابلاً للتحقيق خصوصاً لأطراف خارجية كالولايات المتحدة الأميركية مثلاً، والتي قد تعتبر الوفاق مفاوضاً سياسياً مقبولاً جداً في حال فتح الباب يوماً للتفاوض. لكنني على العموم لا أرى ذلك حاصلاً في أي وقت قريب.

المرآة: وماذا عن سقف المطالب السياسية للأطياف الأخرى وخصوصاً جماعة شباب 14 فبراير؟

جونز: شخصياً أعتقد بأن الخطاب السياسي الذي تستخدمه جماعة شباب 14 فبراير تحديداً يتطور باستمرار، وقد وضعت هذه الجماعة سقفاً مرتفعاً لمطالبها بالفعل ولكنه سقف متلائم مع ما حدث خلال السنة الماضية. وفي المجمل أعتقد بأن هذه الجماعة التي لا نزال لا نعرف أفرادها ومحركيها تمثل بشكل جلي ما يشعر به القطاع العريض من الشارع البحريني .

المرآة: هل كان لديك اتصال بأي من أفراد هذه الجماعة؟

جونز: نعم، يتصل بي أفراد من هذه الجماعة بشكل مستمر ليسألوا المشورة ويستفسروا عن تقييمي الخاص حول الوضع الداخلي وحول ردود أفعالهم حول ما يجري في الداخل. وعلى الرغم من أنني لا أزال على غير اطلاع بهويات هؤلاء الأفراد إلا أنني أكاد أجزم بأنهم جماعة ليست بالصغيرة وفيها الكثير من الأفراد المتعلمين تعليماً عالياً.

المرآة: في هذا الصدد وفيما يتعلق بالنقاش الساخن الذي يدور حول الحفاظ على السلمية والاتجاه لاستخدام العنف، كيف تقيم هذه المسألة في البحرين؟

جونز: أعتقد أنه من الضرورة بمكان أن نلقي بالضوء على مسألة مهمة للغاية، وهي أن الدعوة إلى استخدام العنف هي دعوة مرفوضة طبعاً، فلا يجوز لمن ينادي بالديمقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان أن ينادي بالعنف. غير أن النظر إلى أبعاد أخرى في المسألة البحرينية يأتي على نفس الدرجة من الأهمية، وعلى رأسها تعريف العنف بحد ذاته. فهل يجوز أن نطلق على ما يجري في البحرين الآن من قبل المحتجين عنفاً؟ لست من دعاة العنف بطبيعة الحال فأنا شخصياً أؤمن بضرورة الحفاظ على السلمية إجمالاً وفي الملف البحريني على وجه الخصوص، لكنني أتفهم ما يجري في البحرين، وهو الأمر الذي حذرنا الحكومة الأميركية منه مراراً. فكيف يمككنا أن نأتي اليوم لنلوم مجموعة من الشباب الصغار في إحدى القرى البحرينية التي يتم الهجوم على أهلها ليلياً ويستنشق سكانها مسيلات الدموع بدلاً من الأكسجين إذا قررت أن ترمي حجارة أو تقوم بعمل زجاجات حارقة. هذه تصرفات مرفوضة طبعاً من وجهة نظري، ولكن لا يحق لأحد أن يصدر الأحكام دون أن يضع نفسه أولاً في مكان هؤلاء.

المرآة: هل تعني من حديثك بأن لهذه الممارسات مبررات مقبولة من وجهة نظرك؟

جونز: لأوضح وجهة نظري مرة أخرى أقول: ليست هذه الممارسات مقبولة طبعاً، ولكنها ممارسات أفهمها وأفهم أسبابها. لا أبررها ولست بالضرورة أجوزها، بل أنني أعتقد جازماً بأنها تضر الحراك البحريني أكثر مما تنفعه، لكنني أرى بأنه من النفاق أن يأتي شخص من الخارج ليصدر الأحكام على أشخاص مروا بأوضاع لم يمر بها ولم يعرفها. الشعب البحريني يشعر بأنه وحيد في حراكه حيث لا دعم دولي ولا عربي لما يطالب به، يشعر بأنه منسي ومهدد، كيف يمكن أن نتجرأ على الحكم على أشخاص يمرون بهذه الظروف؟

المرآة: كيف يمكن أن يضر الحراك دفاع الأشخاص عن أنفسهم إذاً؟

جونز: يضر لأنه يخسر الشعب البحريني الدعم الدولي " غير الرسمي" الذي حصل عليه منذ بدء تحركه السياسي. كانت السلمية هي ورقة الضغط الرابحة في يد هذا الحراك، ولو حاد الحراك عن سلميته سيفقد الضغط الدولي الذي يمارس على النظام السياسي في البحرين، وسيعطي مبرراً قوياً للسلطات طبعاً من وجهة نظري، ولكن لا يحق لأحد أن يصدر الأحكام دون أن يضع نفسه أولاً في مكان هؤلاء.

المرآة: هل تعني من حديثك بأن لهذه الممارسات مبررات مقبولة من وجهة نظرك؟

جونز: لأوضح وجهة نظري مرة أخرى أقول: ليست هذه الممارسات مقبولة طبعاً، ولكنها ممارسات أفهمها وأفهم أسبابها. لا أبررها ولست بالضرورة أجوزها، بل أنني أعتقد جازماً بأنها تضر الحراك البحريني أكثر مما تنفعه، لكنني أرى بأنه من النفاق أن يأتي شخص من الخارج ليصدر الأحكام على أشخاص مروا بأوضاع لم يمر بها ولم يعرفها. الشعب البحريني يشعر بأنه وحيد في حراكه حيث لا دعم دولي ولا عربي لما يطالب به، يشعر بأنه منسي ومهدد، كيف يمكن أن نتجرأ على الحكم على أشخاص يمرون بهذه الظروف؟

المرآة: كيف يمكن أن يضر الحراك دفاع الأشخاص عن أنفسهم إذاً؟

جونز: يضر لأنه يخسر الشعب البحريني الدعم الدولي " غير الرسمي" الذي حصل عليه منذ بدء تحركه السياسي. كانت السلمية هي ورقة الضغط الرابحة في يد هذا الحراك، ولو حاد الحراك عن سلميته سيفقد الضغط الدولي الذي يمارس على النظام السياسي في البحرين، وسيعطي مبرراً قوياً للسلطات طبعاً من وجهة نظري، ولكن لا يحق لأحد أن يصدر الأحكام دون أن يضع نفسه أولاً في مكان هؤلاء.

المرآة: هل تعني من حديثك بأن لهذه الممارسات مبررات مقبولة من وجهة نظرك؟

جونز: لأوضح وجهة نظري مرة أخرى أقول: ليست هذه الممارسات مقبولة طبعاً، ولكنها ممارسات أفهمها وأفهم أسبابها. لا أبررها ولست بالضرورة أجوزها، بل أنني أعتقد جازماً بأنها تضر الحراك البحريني أكثر مما تنفعه، لكنني أرى بأنه من النفاق أن يأتي شخص من الخارج ليصدر الأحكام على أشخاص مروا بأوضاع لم يمر بها ولم يعرفها. الشعب البحريني يشعر بأنه وحيد في حراكه حيث لا دعم دولي ولا عربي لما يطالب به، يشعر بأنه منسي ومهدد، كيف يمكن أن نتجرأ على الحكم على أشخاص يمرون بهذه الظروف؟

المرآة: كيف يمكن أن يضر الحراك دفاع الأشخاص عن أنفسهم إذاً؟

جونز: يضر لأنه يخسر الشعب البحريني الدعم الدولي " غير الرسمي" الذي حصل عليه منذ بدء تحركه السياسي. كانت السلمية هي ورقة الضغط الرابحة في يد هذا الحراك، ولو حاد الحراك عن سلميته سيفقد الضغط الدولي الذي يمارس على النظام السياسي في البحرين، وسيعطي مبرراً قوياً للسلطات طبعاً من وجهة نظري، ولكن لا يحق لأحد أن يصدر الأحكام دون أن يضع نفسه أولاً في مكان هؤلاء.

المرآة: هل تعني من حديثك بأن لهذه الممارسات مبررات مقبولة من وجهة نظرك؟

جونز: لأوضح وجهة نظري مرة أخرى أقول: ليست هذه الممارسات مقبولة طبعاً، ولكنها ممارسات أفهمها وأفهم أسبابها. لا أبررها ولست بالضرورة أجوزها، بل أنني أعتقد جازماً بأنها تضر الحراك البحريني أكثر مما تنفعه، لكنني أرى بأنه من النفاق أن يأتي شخص من الخارج ليصدر الأحكام على أشخاص مروا بأوضاع لم يمر بها ولم يعرفها. الشعب البحريني يشعر بأنه وحيد في حراكه حيث لا دعم دولي ولا عربي لما يطالب به، يشعر بأنه منسي ومهدد، كيف يمكن أن نتجرأ على الحكم على أشخاص يمرون بهذه الظروف؟

المرآة: كيف يمكن أن يضر الحراك دفاع الأشخاص عن أنفسهم إذاً؟

جونز: يضر لأنه يخسر الشعب البحريني الدعم الدولي " غير الرسمي" الذي حصل عليه منذ بدء تحركه السياسي. كانت السلمية هي ورقة الضغط

المرآة: ماذا عن تقييمك لدور كل من السعودية وإيران في قضية البحرين السياسية؟

جونز: أعتقد بأن هناك مبالغة في تقييم القوة والتأثير للسعودية على الولايات المتحدة، فالسعودية لا تملك قوة وتأثيراً على الولايات المتحدة، لكن الأخيرة تتصرف وكأن السعودية تملك هذه القوة والتأثير.

ولا شك أبداً بأن تدخل السعودية المباشر في المسألة البحرينية عقد المشكلة، لكنه تدخل محسوب جداً فمن الواضح أنها تخشى من أن ينتقل هذا الحراك البحريني إلى الداخل السعودي. ومع كل ما نسمعه من حراك يومي عن مسيرات وتظاهرات تجري في السعودية، أعتقد جازماً بأنها قنبلة موقوتة ستنفجر في أي لحظة ولن تغير فقط السعودية لكنها ستغير وجه منطقة الخليج.

أما إيران، فأعتقد بأنها لا تشكل خطراً إقليمياً على عكس ما يشاع، لكن هذا لا يعني بأن لدى إيران طموحاتها التوسعية بدورها، فهي تحاول أن تخلق من نفسها قوة إقليمية بدليل تأثيرها الكبير في العراق. ومن الجدير بالذكر أن الداخل الإيراني بدوره يبدو مضطرباً للغاية، وأن النظام السياسي الإيراني يعاني من مشاكل جوهرية ويعتبر أحد أسوأ الأنظمة في منطقة الشرق الأوسط.

باختصار لقد استغل كل من الطرفين السعودي والإيراني الأزمة في البحرين في صراعهما الإقليمي، وأصبحت هذه الدولة الصغيرة تدفع سياسياً أكبر من طاقتها. ولا يزال المستقبل السياسي يبدو مجهولاً حالياً.

الدكتور عبد الله المدني ينقلب:

ما حدث كان مأساة، واستلهم من مصر وتونس

بعد أن اتهم ثورة فبراير بأن إيران خلفها...

مرآة البحرين (خاص):

في يونيو 2011 ظهر الكاتب والمحلل والخبير السياسي البحريني الشهير الدكتور عبد الله المدني على قناة "العربية" السعودية ليتهم المتظاهرين في دوار اللؤلؤة بأن إيران تقف خلفهم، وخلف كل أزمة مرت في البحرين، وأن الشعارات التي رفعت هناك كان تطالب بجمهورية إسلامية على غرار إيران.

كل عقدة المدني هي تلك "الدولة التي في الضفة الأخرى" (حيث لا يحب أن يلفظ اسمها حتى) يسأله مذيع برنامج إضاءات تركي الدخيل "من أين تأتي بأن إيران وراء المتظاهرين في الدوار؟" فيجيب "3 جماعات راديكالية متطرفة ومتشددة كانت تريد إقامة دولة إسلامية ورفعت شعارات تطالب بالجمهورية، وهم أناس معروفون بارتباطهم بإيران"

يحرجه المذيع مرة ثانية "هل أعلن أحد من جماعة الوفاق أنه يريد جمهورية إسلامية في البحرين؟" يظل متلعثما ويعطي إجابة مهزوزة، يحاول عاجزا أن يخلط فيها الأوراق للتهرب "جماعة الوفاق متحالفة مع حركة "حق"... وحق أساسا جزء انسلخ من الوفاق، وكانوا كلهم كتلة واحدة في التسعينات..."

في 2012-1-31 يكتب المدني مقالا ينقض كل ما قاله طوال تلك الفترة "تسببت العديد من العوامل بهذه الاحتجاجات. نشأ بعضها من الداخل. بعض المتظاهرين أخذوا نموذج الثورتين المصرية والتونسية مطالبين بإسقاط النظام الملكي، في حين أن آخرين قدموا مظالم محددة يمكن أن تعالج وتصحح من دون ثورة، كما كان الحال في المغرب والأردن"... لم تكن إيران إذن!

كانت انتهاكات لها مبرر

يستمر تركي الدخيل في طرح الأسئلة المحرجة: ألست تتبنى وجهة النظر الرسمية؟ ألم يكن هناك تعاط قاس مع المحتجين من قتل وانتهاكات وسقوط ضحايا؟ يكذّب المدني كل ذلك "تضخيم شديد، استخدمت فيه أدوات الإعلام "المعادية" ليخرج من صورته الحقيقية" يسأله المذيع من الذي بدأ بالعنف؟ فيجيب "الذين خرقوا القانون!"

ألم تعلن حالة الطوارئ في البحرين؟ "حالة السلامة الوطنية مختلفة، الطوارئ تتطلب تعطيل الدستور وفرض الأحكام العرفية وتعطيل العمل بالقوانين وإيقاف الجمعيات وتعيين حاكم عسكري ومحاكم عسكرية" يقول تقرير بسيوني إن ما طبق في حالة السلامة الوطنية يفوق قانون الأحكام العرفية "الطوارئ"، لكن الدكتور الخبير كان حينها لا يرى!

في 2011-11-27. بعد صدور تقرير بسيوني بأيام كتب المدني مقالا بموقع (دروب) انتقد فيه التقرير بحدة، وقال إن بسيوني لم ينظر إلى الأمور والوقائع إلا من خلال عيونه وحده، وإنه أفاض في تقريره حول النتائج دون التوقف عند الأسباب و"المبررات"، ولم يشر، لا من قريب أو بعيد، إلى الحق المشروع لأي حكومة مسئولة في الحفاظ على السلم الأهلي، ولامه كذلك على تبرئة إيران من التدخل في البحرين ومقارنتها بالسعودية.

ثم كانت مأساة

اليوم وبعد 3 أشهر من صدور تقرير بسيوني، استيقظ المدني (الكاتب والخبير والمحلل المعروف دوليا) فجأة ودون مقدمات على قراءة جديدة، لا نعلم كيف ولماذا؟ ربما كانت انتباهة مثقف واع أو صحوة ضمير أو مراجعة، وربما كانت نتيجة إحراج بين صفوف الأكاديميين والكتاب الذين تربطه بهم علاقة في جميع أنحاء العالم، فهم أيضا قرأوا تقرير بسيوني، وسيتفاجأون كثيرا إذا كان ذلك هو موقف صديقهم المثقف الليبرالي!

اكتشف المدني فجأة من خلال تقرير بسيوني أخطاء فادحة ارتكبها نظام بلاده في حق المتظاهرين، وأن الاحتجاجات ربما كانت محقة (بعيدا عن فوبيا إيران). يقول المدني "يبدو أنها انتهاكات مؤلمة وقاتلة" ويصفها بالمأساة.

أستاذ العلاقات الدولية الشهير والخبير في الشئون الآسيوية الدكتور عبد الله المدني يختار أن يتحدث عن أزمة بلاده البحرين (بعد أن شرّق وغرّب) ويوجه خطابه للبحرينيين، ولكن باللغة الإنجليزية، وعبر شبكة Common Ground الدنيئة والتخطيط المريب لزرع الفتنة والاقتتال الداخلي، أمام تحد خطير غير مسبوق، ومجلس التعاون ليس قادرا على حماية نفسه ولذلك نحتاج إلى //حماية أجنبية// وأن نشتري الأمن وذلك ليس عيبا، فالبحرين دولة ذات سيادة وبإمكانها أن تطلب المساعدة من أي مكان(!)

لم يهم المدني كيف تكون منطقة النفط الأغنى في العالم ليست مؤهلة لأن تحمي نفسها! لم يذهب بعيدا كما يفعل مع دول شرق آسيا في تحليل أسباب هذا الضعف وجوانبه وتاريخه وتراكماته.

ذلك أنه سيصطدم بالطبع بنوعية الأنظمة القبلية المستبدة التي حكمت هذه الدول وحافظت أكثر ما حافظت على مستوى ثابت من تخلفها العلمي والحضاري، وأن تكون دولا مستهلكة ضعيفة ومعتمدة على الشرق والغرب دائما وفي كل شيء، رغم كل هذه الثروة التي ليس لها نظير. كل هذا نتيجة حتمية للحكم الرجعي المطلق ولسلب سلطات الشعب وحقه في إدارة شئون نفسه وسرقة إمكاناته وغياب شكل الدولة العام من كل النواحي بدءا من التخطيط وانتهاء بآليات التنفيذ والمراقبة.

هذا ما لم يرد أن يقوله المثقف والأكاديمي، ليس لأنه لا يجرؤ، بقناة العربية (المعارضة -المحفزة من إيران- كانت تكذب وتهول الأمور وتدعي أن طائرات "أباجي" استخدمت في قصف الدوار، فقط وفقط لكي تحصل على //تدخل دولي// ....نحن إزاء هذه المؤامرات الشهيرة للخدمات الإخبارية! يترجم المقال إلى 5 لغات بينها الأردية والعبرية والفرنسية وأخيرا "العربية".

يقول المدني في مقاله "يجب أن لا تمارس أي حكومة ارتكاب مثل هذه الأفعال ضد مواطنيها" ويعبر عن الحزن والأسى الذي ملأه (رغم أنه لم يكن باديا عليه من قبل) لما حدث من "مواجهات مأساوية بين المتظاهرين وقوات الحكومة في العام الماضي" ويؤكد أن هذه الحملات العنيفة خلّفت العشرات من القتلى وأكثر من هذا العدد جرحى بين المتظاهرين، في حين أن عددا غير معروف تعرضوا لاستجوابات قاسية وعنيفة في السجن.

ثم يقول متأخرا جدا إنه "من المتفق عليه على نطاق واسع أن النظام الملكي يجب أن ينهي هذا العنف وهذا النوع من الاعتقالات التي تجري خارج نطاق القضاء"

متاهات المثقف "القبلي"

كل من يقرأ المدني يتساءل كيف يفكر كمثقف وأكاديمي وماذا يريد تحديدا بغض النظر عن توجهاته؟ لم يكن هناك جواب واضح حول هذا التساؤل، إنما كانت جملة من التناقضات والمتاهات التي قالها أحيانا في وقت واحد (لقاء قناة العربية). واحدة من تناقضات المدني

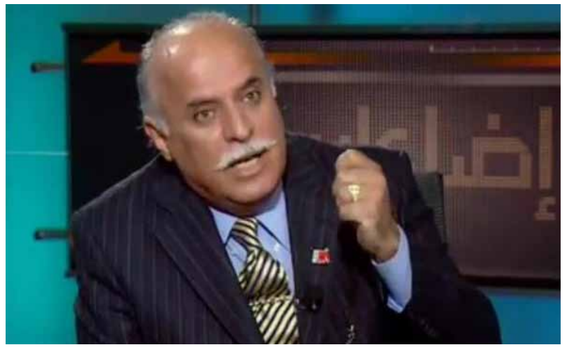

اللؤلؤة يركبون أفضل السيارات الفارهة؟ بما فيهم الأطباء الذين تعلوا رواتبهم على 3000 دينار، ولديهم أفضل البيوت وأبناؤهم يدرسون في مدارس خاصة"

الحكومة حولت البلد إلى سنغافورا...والفقراء هم السبب

تعقيبا على ذلك يقول "الخبير" السياسي الليبرالي إنه يفهم الثورة على أنها مطالبة بمستوى معيشي أفضل! "كيف أسميها ثورة وأنت ليس لديك مطالب معيشية محقة؟" يلذعه تركي الدخيل بسؤال آخر: أليس هناك إقطاع في البحرين؟ وبأسلوبه المتهرب والالتفافي يجيب "هناك إقطاع في كل الدنيا، وهناك من الشيعة والسنة من يعيشون في فقر مدقع، وهناك مساكن بائسة في المحرق على سبيل المثال"

رغم ذلك، يظل المدني مدافعا بكل شراسة على أن سبب الفقر والمشاكل الاقتصادية ليست مشكلة الحكومة، فهي قد أتاحت جميع الوسائل لكي يرتقي المواطن بنفسه، ليس هناك في البحرين إمكانيات اقتصادية كبيرة، ولولا السياسة التنموية الذكية للنظام لما أصبح في البحرين بنية تحتية متقدمة وجميع الخدمات، متقدمة على كثير من دول المنطقة، لقد حولوا البلد إلى مركز خدمات، مثل سنغافورا"

ما المشكلة إذن؟ "هناك أناس ولخلل شخصي ما لا يريدون أن يعملوا ويجتهدوا لأنفسهم. لماذا لا يستفيدون من مشروع تمكين مثلا؟ بعض الناس استفادوا لأن لديهم قابلية، وآخرون لا لأنهم يفضلون النوم في بيوتهم" هكذا طعن المدني في فقر البحرينيين بكل جرأة، ليصل إلى نتيجة مفادها "لم تكن لدينا مشكلة"!

كانت هذه لغة المحلل السياسي والخبير الاقتصادي في قضية وطنه البحرين، حتى فبراير 2012.

ثم كانت مظالم اقتصادية وعدم مساواة

ينقلب المدني في مقاله الجديد انقلابا حادا وعجيبا على كل هذه التنظيرات التي لا تناسب مقاسه الأكاديمي وباعه بل لأن هناك ما هو أهم بالنسبة له وهو "نظام ولاية الفقيه" و"إيران"، ذلك فقط ما يمكن أن يبرر تأخر التحول السياسي في الخليج ووجوب السكوت عنه إلى أجل غير مسمى!

"الثورة تقوم في مكان ما من أجل دولة تحفظ الكرامة والحقوق الإنسانية، فكيف يثور أناس لتأسيس نظام ديني شبيه بالنظام الإيراني الذي مرغ كرامة الإنسان الإيراني العظيم في الوحل؟" هذه كانت قراءة الدكتور المدني لثورة فبراير في قناة العربية، لكنه استيقظ فجأة على أن مصر وتونس هما ملهمتا هذا الحراك وليس إيران، كما أنه استوعب متأخرا أن النظام البحريني "القبلي" هو الآخر مرغ كرامة الإنسان البحريني في أقذر الوحول!

في مقاله الأول عن تقرير بسيوني (نوفمبر 2011) يمتعض المدني مما سمّاه "التكرار الممل" لحكاية "المرفأ المالي" وشراء أرضه بمبلغ دينار واحد، ويتهم بسيوني بأنه كمن يتبنى "خطاب المعارضة الطائفية التي اتخذت من هذا الملف دليلا على فساد الحكومة، وعبأت رؤوس الصبية والمراهقين بفكرته كوسيلة لحشدهم من أجل قطع الشريان المالي والاقتصادي الأكبر في البلاد"

المدني الذي لم يكن متحفظا في لقائه بقناة العربية على تسمية الدوار بدوار اللؤلؤة لم تكن تبدو على حديثه لكنة المحلل والخبير السياسي، تساءل بعقلية رجل الشارع المفرطة "كيف تسمى ثورة والذين ذهبوا لدوار

الطويلة في التحليل السياسي والاقتصادي، يرد هو على نفسه ويعترف هذه المرة بأن للمتظاهرين مظالم حقيقية كالفساد في أوساط النخب، وعدم المساواة عندما يتعلق الأمر بالفرص الاقتصادية، وهي مظالم يشترك فيها الناس في كل المنطقة، حسب تعبيره.

يؤكد المدني أن التوترات السياسية والاجتماعية على المدى الطويل ليس مصدرها إيران كما كان يصيح ليل نهار، ولكنها عزيت إلى حقيقة أن نظاما ملكيا سنيا يحكم أغلبية شيعية من المواطنين. إلا أنه يقول "إن الطائفية في حد ذاتها لا تفسر استياء الناس، فهناك من الشيعة من يتمتع بالثروة والسلطة، كما أن هناك من السنة الفقراء والمحرومون"... إذن هناك طائفية، وهناك فقر وحرمان لا يمكن تبريره بين كل قطاعات الشعب!

متاهات النخبة والإرادة الشعبية

يدفع الدكتور المدني في مطالبته الملحة بالكونفدرالية الخليجية باعتبار أنها "مطلب شعبي" لا مطلب "نخب" فقط. صار رأي الشعوب مهما، من هنا أخذ ينتقد قرار مجلس التعاون ضم "المغرب والأردن" إليه، ويصف المشكلة الرئيسية في القرار بأنه "فوقي" وجاء دون استشارة "أحد" في الزمن الذي يدعوفيه العالم كله إلى المشاركة في صنع القرار، كما يعبر.

"المشاركة" و"صنع القرار" مفاهيم جديدة كليا على كل خطاب المدني الذي دام حوالي الساعة في قناة العربية، إلا أن هذه المفاهيم لم تليث أن تتنكس "لا نريد استفتاء شعبي مثل ما يحدث في أوروبا حين تطلب دولة ما الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، ولكن فقط نطالب باستشارة النخب".

هذا "الأحد" الذي يجب استشارته لم يكن الشعب، يكرر المدني كلمة النخب مرات عدة في مقالاته وكذلك في لقائه بقناة العربية، وهذا ما يفسر لغته المتعالية على "الفقراء" واتهامهم بالكسل.

يستغرب تركي الدخيل هذا السقف المتدني، ويسأل المدني "أي نخب تقصد، هل هي أنتم الليبراليون أم غيركم، لأنكم ستتضاربون مع الإسلاميين" يأتيه الجواب في متاهة من المعنى "النخب العامة وهي كثيرة ولم نعد أقلية!" يختار المدني ثقافة "الصراع" و"المغالبة" حتى يحقق انتصارا فكريا ولو كان انتصارا وهميا.

في الحلقة الأخيرة، سنرى كيف كان المدني (المحلل والخبير السياسي) يرى تداول السلطة أمرا محرما، وأن إصلاحات النظام لا شبيه لها في الدول في منطقة الشرق الأوسط...الملك بيض السجون، والجمعيات السياسية عملها مرخص ولها نشراتها وتحصل على دعم من الميزانية العامة"

حول المطالب السياسية الأخرى يهزأ المدني بكل صراحة من مطالب الملكية الدستورية وتداول السلطة التي يعترف أنها طرحت في الدوار "تداول السلطة بمعنى الوصول إلى رئاسة الوزراء وما يتبعها من قيادة الجيش وما إلى ذلك... هذا شيء حساس جدا.. وأنا أعتقد أن الأنظمة في الخليج كل الأنظمة وليست البحرين لن ترضى بذلك"

لقد كان ذلك تخريج المثقف الليبرالي والأستاذ الأكاديمي عبد الله المدني لرفض المطالب السياسية للمعارضة والتي تجعل السلطات في يد الشعب بدلا من يد القبيلة!

ثم كانت الحاجة إلى إصلاح سياسي

يحظى عبد الله المدني الكاتب والباحث والأستاذ الجامعي، بسمعة دولية كبيرة، باعتباره خبيرا سياسيا واقتصاديا قديرا في الشئون الآسيوية، درس الاقتصاد، العلاقات الدولية، و الاستراتيجيات، وكان تخصص شهادته في الدكتوراة "الفلسفة في العلوم السياسية" من جامعة اكستر البريطانية.

لم تشفع كل هذه المؤهلات والخبرة الطويلة للمدني بأن يكون في أزمة بلاده "على الحياد" باعتباره مراقبا في أقل تقدير، إن لم يكن واجبا عليه أن يصطف مع المطالبين بالتحرر والديمقراطية في أي صيغة ممكنة. إنجازاته الثقافية التي لم يكن آخرها كتابه "ارفعوا أيديكم عن حناجرنا" لم تفلح في أن يخضع شعارات "إسقاط النظام" إلى مورد التعبير عن الرأي، ولذا لم يكن هناك بد من لجمها وخنق "الحناجر" التي صدحت بها ذات يوم.

يرجع المدني اليوم، ويطرح تحليلا آخرلما يحدث في بلاده "لم تكن هناك ضوابط ولا رقابة ولا توازنات بين البرلمان والحكومة والقضاء". يؤكد المدني أن "عدد المسلمين الشيعة يفوق في البحرين عدد المسلمين السنة من حيث المواطنين" الشيعة أغلبية في البلاد، لكن النظام ملكي سني مطلق السلطات، وهو ما خلق بيئة ملائمة لينمو فيها التمييز والطائفية واللامساواة.

الحل كما يبدو لدى المدني اليوم مختلف، فهو ليس القمع ولا "الكونفدرالية" ولا خنق الحناجر! بل هو أن "تجتمع الحكومة والشعب معا على صياغة استراتيجية جديدة للتعاون، وتحقيق إصلاح سياسي واجتماعي ذي معنى، يكون من شأنه تقوية البلاد من خلال تمكين جميع مواطنيها"

تصحيح هذه الأخطاء هو المساواة في التمثيل داخل المؤسسات الحكومية القائمة وأمام القضاء، وهو بأن يحظى البرلمان المنتخب على قدر أكبر من السلطة، وأن تحصل السلطة القضائية على الاستقلال التام وتنشأ هيئة لمكافحة الفساد بسلطات تحقيق مستقلة" وفي "صراعنا ضد الفساد والمحسوبية" التي اكتشفها فجأة، نحتاج كما يقول المدني إلى قضاء صارم.

كانوا غوغاء واليسار الماركسي كان معهم

"حركة المتظاهرين ليست سوى اعتداءات بغرض تخريب وهدم ما بني خلال 40 عاما مضت" هكذا وصف المدني تظاهرات العام الماضي. لم يكتف المدني بأن يكيل أقذع الأوصاف والتهم للمتظاهرين، بأنهم أتباع إيران وطابورها الخامس، أو أنهم صبية ومراهقون سممت أفكارهم طائفيا وسياسيا الجمعيات السياسية ذات القصور الشديد في فهم السياسة حسب قوله.

فالمدني المثقف الليبرالي العتيق الذي اصطف بدوره إلى جانب "المكون الشعبي الآخر في جامع الفاتح" لدعم النظام "القبلي"، ولم ينكر انتماءه لقيادته الدينية ممثلة في الشيخ عبد اللطيف المحمود الذي أشار إليه في اللقاء، عاب على "الجماعات الماركسية اليسارية والجماعات البعثية القومية أن تضع أيديها في يد شخص يريد أن يقيم نظام ولاية الفقيه في البحرين" حسب زعمه.

وفي تعليل غريب على لغة الأكاديميا، يدّعي المدني أن أعضاء الحركات اليسارية يحقدون على الحكومة منذ السبعينات، ومتشبعون بكراهية النظام، لما حدث وقتها من اعتقالات وتعذيب بين صفوفهم، لكنه بحذاقة المؤرخ يبرئ الحكومة من ذلك أيضا، ويرميه في ملعب "الإنجليز المحتلين" رغم أنهم خرجوا من البلاد عام 1971.

اليوم في مقاله الجديد، يتغير وصف هؤلاء المتظاهرين كليا، ليكونوا "الساعين إلى التغيير، والمهمشين البحرينيين". مع ذلك تبقى مظلمة اليسار البحريني المناضل والذي قدم تضحيات كبيرة في هذه الأزمة على رأسها اعتقال وتعذيب المعارض الوطني إبراهيم شريف رئيس جمعية وعد، ويبقى الوقت متأخرا كثيرا على أن يقدم المدني اعتذارا صادقا لكل هؤلاء عن الذنب العظيم الذي اقترفه بحق تاريخهم.

متأخرا

يقول المدني في مقاله "ربما لا تكون هذه المفاهيم الإصلاحية سوى بداية لعملية طويلة وشاملة، ما لن يحدث بين عشية وضحاها. في هذه الأثناء، ليبدأ الحوار وكذلك أول الخطوات"

قد يكون في ذلك وجه من الصحة، لكنه من المعيب أن يتحدث المدني الآن فقط عن هذه "العملية الطويلة" التي نحتاجها! أين كان المدني حين كانت هذه العملية يجب أن تبدأ قبل عام من الآن؟ لماذا ظل مع الآخرين يساند قمع النظام الوحشي الذي لا تفسير له سوى عرقلة هذه العملية لتجنيب النظام فقدان مزيد من سلطاته المستبدة؟

نعم، ليبدأ الحوار. ولكن لماذا لم يتكلم المدني عن ما يسمى بحوار التوافق الوطني بأنه لم يكن حوارا فعلا، ولم يكن فيه نية جادة لإصلاح سياسي ذي معنى كما يطالب الآن؟

ثم مع من سيطلب عبد الله المدني الحوار، هل مع المعارضة اليسارية التي قال إنها "غيرت في لحظة غرور وجهها التقدمي، وتخلت عن تاريخها النضالي المعروف، ودفنت مبادئها القومية واليسارية، بمقدار مائة وثمانين درجة" أم مع المعارضة الإسلامية التي قال عن زعيمها الشيخ علي سلمان إن "مفاتيحه" ليست في يده، لأنه يخضع إلى تراتبية هرمية دينية تصل إلى الشيخ عيسى قاسم الذي يجب أن يستأذن ويرجع له في كل شيء (باعتباره مرجعية وآية الله) ما يعزى له إجهاض حوار ولي العهد في اللحظات الأخيرة، وإفشال مبادرة لجمع الطائفتين في صلاة واحدة بمسجد الفاتح وقتها، حسبما يزعم.

لم يحل المدني هذه الإشكالات المفتعلة، بل استسلم كغيره من عشرات الأكاديميين والمثقفين مع الأسف لأن تتلبسه فوبيا إيران ومسبقات الحكم على التيارات السياسية دون أدنى نقاش موضوعي يقوم في المقام الأول على الفهم الدقيق وحسن النوايا وإصلاح ذات البين، لا الاختزال والتصلف ثم التباكي على انقسام المجتمع وتعاديه.

لم يكن لدى المدني وغيره الوقت في أن يفكر ويتأمل ويتروى ويبحث عن حل يعالج هذه الأزمة المتفاقمة، لم يكن لديه أدنى شعور بالمسئولية تجاه المجتمع ووحدة الوطن الذي تنخر فيه الانقسامات لأوهام وفبركات كشف زيفها تقرير بسيوني المستقل والمحايد، والذي لم يسلم هو الآخر من نقد متهافت وغير موضوعي لا يناسب مثقفا في مقام الدكتور عبد الله المدني.

لم يكن المدني صادقا في أنه يريد من مقاله استشراف "مستقبل مضيء للبحرين". كتب مقاله باللغة الإنجليزية لأصدقائه في آسيا والغرب وليس للبحرينيين، وكأنه يخجل من أن يقرأه أحد منهم ليطلع على هذا الانقلاب المفاجئ!

وليس من المرجح أن لا يستمر المدني في إسقاطاته التهويمية لإيران على كل التائقين للعدل والحرية والكرامة في بلاده، شيعة كانوا أم سنة، إسلاميين أم علمانيين، فتلك ضريبة التلبس بالثقافة القبلية لمواجهة أي مد "ديني" ولو على حساب مبادئ "الليبرالية".

كان يفترض بعشرات من يعدّون أساتذة وأكاديميين أن لا ينزلقوا منذ البداية إلى وحل السلطة لمجرد ما في مخيلتهم من أوهام ومسبقات حول إيران والشيعة في البحرين، لكن الأدهى والأمر بقاء هؤلاء على نفس موقفهم رغم كل ما جاء به تقرير بسيوني (الدولي المستقل المحايد) من تأكيدات على أن النظام الذي يحكمنا نظام وحشي مستبد مارق.

أمنا الثورة..
ولدنا يوم 14 فبراير

مرآة البحرين (خاص):

كل صرخة ألم، وكل قطرة دم، ستغدو جزءاً من ذاكرة الشعب، تطبع وجدانه بفكرة الصمود أمام آلة الفتك والموت. الفنان، الشاعرة، المصرفي، المصور، المعلمة، الشاب الجامعي كل واحد سيسرد قصته مع حلم الحرية الذي استبيح في يومٍ أسود، حاك ظلمته النظام البحريني، فيما الأسماء ستبقى مجهولة تخشى من اللعن، تتخفى وراء حكايات أصحابها الخارجة للتو من الدوار المهدوم.

■ **لم تكن تهمني..**

الشاب البحريني (س)، لم تكن تهمّه السياسة، كان كل ما يريده هو أن يحظى بحريته. لم يجد بدأً من الحضور في ساحات الميدان حين يجد فسحة من عمله أو من التزاماته مع عائلته. لم يميز خيمةً عن أخرى، أو يجالس جماعة معينة. يبحث عن المشاركة أياً كانت. انصهر بسرعة كما انصهر الجميع في غاية واحدة. يقول: « أنا مواطن بحريني لا أنتمي لأي جهة، السياسة لا تهمني، أريد أن أعيش حياتي، أن أحظى بحريتي ومنزلي وعملي الذي يأويني أنا وزوجتي، آمالي صغيرة كالجزيرة التي أعيش عليها، وعفوية كما كان أجدادي و آبائي».

سمع نداءً من إحدى منصات الميدان تطلب متطوعين ينظمون حركة المرور، استجاب بعفوية. صار مع مجموعة من الشباب عند أحد الشوارع الفرعية القريبة من قريتي الديه والسنابس. « كانت السيارات تطوف موجلة بين حين وحين. وكنا نستنفر حين نلحظ إنارات بعضها ينعكس على الجدارن التي غيرت الشعارات حياديتها. لم يكن أحد في مأمن لا نحن ولا المارة، الجميع يتوجس أشباحاً فتكت بشبابٍ من الدير ومن مدينة حمد وهم يمشون في طريقهم بسلام وفي عهدة الدولة». الثورة بالنسبة لـ (س) معبقة بدم الشهداء الذين طهروا دنس الضربة الأولى للدوار كما يقول، أما النظام البحريني فهو يجند بلطجية هدفهم الإغارة على مفاصل الوطن لاغتيال ما بقي فيه من ضمير.

■ **لم أكن سأشارك..**

الشاعرة الشابة (م) التي استيقظت منزوعة في صبيحة السابع عشر من فبراير عند الساعة الرابعة فجراً، على إثر خبر مجزرة الدوار. بالنسبة لها كانت المظاهرات البحرينية لم تكن أكثر من خبر على صفحة الفيس بوك. تقول: "لم أتوقع أن يتجاوز الخبر الفضاء الافتراضي إلى الواقع، وحين صارت حدثاً لم أكن متحمسة للمشاركة إذ أني لا أميل للهتافات ولا ترديد الشعارات لا أشعر أني أشبهني حين أرفع صوتي لأردد شعاراً ما. لم يُفلح أحد في إقناعي بالمشاركة، فمضيتُ لقراءة المشهد عبر المعرفة لا الحدث متأملةً كتاب الأمير الذي أفرزه الواقع السياسي في أوربا قبل خمسة قرون". تضيف: "معطيات كثيرة غيّرت مزاج الحدث الذي كنتُ أفترضه نمطياً، فما عاد من الممكن أن أكتفي بنصف الصورة ولا نصف الطريق إلى الحدث، الحدث الذي يجب أن يكون هو المشهد الذي سيفرز معرفة جديدة توافق بانوراما المشهد البحريني".تستعيد (م) صوت الصحفي حسين المرهون الآتي من قناة الجزيرة كشاهد على ما حدث ينقل وقائع المجزرة" لحظتها صرنا محتجزين في الزمن، في اليوم الذي كان على الكل فيه أن يطمئن على الكل، مضيتُ أسأل عن أخي الذي قرر يومها أن ينام في الدوار، أسأل عن أبي الذي لم يفكر طوال عمره في المشاركة في مثل هذه الإعتصامات ثم قرر أن يكون هناك في هذا الخميس الأسود".

تكمل : "في 91 فبراير كانت دعوة أسرة الأدباء للمشاركة في اعتصام المثقفين تضامناً مع الشهداء، الإعتصام الذي وصل لي أنباء عن إغلاقه، وجدتني معنية بالذهاب للسلمانية، شهداء الخميس الأسود أخذوا بيدي، أرادوني أن أكون معهم فمضيتُ لهم لكن هذه المرة أمام مستشفى السلمانية، أرادوني أن أشهد سيارات الإسعاف وهي تعود خائبة لأنها ممنوعة من مساعدة الجرحى، بكيتُ وانهرتُ تماماً.

في تاريخ 02 فبراير بعد أن تمكن الشباب من الرجوع للدوار بعد المجزرة ذهبت (م) إلى مقر الاعتصام الذي احتضن اللؤلؤة، تقول: "لونت ظاهر كفي بعلم البحرين، مكتفيه بالمرور بصمت وهدوء بين الجموع موجهة يدي لضوء الكاميرات والوجوه، بدا المكان في ذلك المساء أليفاً فمضيتُ للتجوّل في مكان لا يزال الناس فيه هادئين حتى بعد مجزرة مروّعة، يحملون الورد ولافتات تطالب بالإصلاح، الأطفال يدللون الأعلام والورود بين أيديهم الصغيرة، بعض الشباب يكنسون الأرض، شيوخ يستريحون على الرصيف، كل ذلك أشعرني بأن هذا المكان يحضر بقيمه، حتى أن بالإمكان أن يكون ليه فيه صوتاً يتوافق و رؤيتي. الآن يمكنني أن أفهم الحدث فصفحات كهذه لا تقرأ في كتاب".

■ **لم أكن أصدّق..**

محمّد، مسؤول عمليات في أحد المصارف المعروفة في المنامة. أراد أن يكتشف في ذلك اليوم مدى إرادة الناس، وهل أنّ الثورة حقيقة أم مجرّد تقليد للربيع العربي. إذ كان يظن أن هذا الشعب يميل للتقليد والإستنساخ.

يقول: "ركنت السيارة وأسرعت نحو المعتصمين عند دوار الدراز، رميت نفسي بينهم، نظرت إلى الوجوه وجهاً وجهاً، رأيت فيهم نفسي المقموعة، القوات تتجمّع شيئا فشيئا، الناس تتزايد دون خوف، هل يطلقون عليهم النّار؟ توقّف رأسي عن التفكير، عدتُ بسرعة إلى الوراء، إلى التسعينات والألفية، اجتمعا في رأسي مرّة واحدة، صورتان متناقضتان، تظاهرات ومواجهات عنيفة وميثاق وطني، كيف اجتمعا الآن؟ القوات تتقدّم، أوه إنها تُطلق النّار، تبدأ الحكاية.

يكمل محمد: "نسيتُ كلّ هواجسي، القرار سحبني إلى الثورة مباشرة، رفعت علم البحرين كان سقط من شاب اختنق بمسيلات الدموع، تقدّمت به إلى الأمام، تشجّع منْ خلفي، وبدأت الصورة الخلاّبة للثورة، نزْعُ الخوف من الصدور والتقدّم ببسالة إلى القوات وإجبارها على اليأس"

مع ورود خبر استشهاد علي مشيمع أحد شهداء الثورة ستتواله في داخل محمد مشاعر غامضة" الحزن والأسى كان هو السّطح الظاهر، سرعان ما تكوّن شعور غاضب ممزوج بالأمل، كان لابد للشجرة من ماء يرويها، خشيت أن يُطلّ اليوم التالي وكأن 41 فبراير مجرد حادثة، لا أحد

يذكرها كثيرا، عندما استشهد مشيمع تيقّنتُ بأن هذا التاريخ سيصبح خالداً".

دخول الدّوار شجع محمد على إعادة تشكيل مفهومه للجماعة" خرجتُ من إيمانياتي الصلبة، اكتشفت أن البسطاء ليسوا رعاعا، وأن بيدهم صُنع القرار، كانوا نخبة الدوار، والقيادات لم تجد حرجا في الإنصات إليهم ومتابعتهم أيضا، حللتُ عقدتي القديمة تجاه الجمهور، كان حلا فوريا، أنزلُ إليهم وأعيشهم وأبادلهم التفكير".

يضيف: "التحوّل الداخلي أهم اكتشافاتي الشخصية في الثورة، يمكن أن يتغيّر كل شيء، وفي لمح البصر، أعتني حاليا بعائلتين حرمهما النظام من الدخل الشهري، مع الوقت، بدأت أعيش معهما مثل العائلة الواحدة، لم أكن أتصوّر نفسي قادراً على الاندماج مع آخرين مختلفين، الثورة أمدتني بهذه الخاصية، عندما شاركتُ آلافاً لا أعرفهم أصعب اللحظات، تشاركنا اقتراب الموت والمصير المجهول، أعيشُ اليوم هذا الانجاز، وكأنّ الثورة أمّي".

■ **لم يكن منهج تاريخ مدرسي..**

في مساء ثورة الرابع عشر من فبراير وقفت مريم أستاذة مادة التاريخ تستطلع مطالب الناس وتتبين طبيعة العلاقة بين هذه المطالب وربيع الثورات العربية. لم يطل سؤال بحثها "وجدت نفسي أزحف مع الحشود نحو الدوار، تقهقر رجال الأمن قليلا عندها رحت أهتف: إن الدماء ترخص فداء للحرية! ها هي دماء الشهيد فاضل المتروك وقبله كانت دماء علي مشيمع الذي سبقه الى العلياء بيوم واحد. جاء المساء، جلست في ساحة الدوار، أنصت لحديث المنصة، وقف أحد الشباب قائلا : نحن شعب واحد ومطالبنا واحدة مرددا:(إخوان سنة وشيعة، هذا البلد مانبيعه)".

بل أن يبزغ صباح اليوم التالي ستدون مريم في مفكرتها: "هذا الشعب أصيل في مطالبه التي لا تختلف عما طالب به شعب البحرين في السنوات السابقة". في الصباح بعد فجر السابع عشر من فبراير، ستستيقظ على خبر هجوم عناصر من قوات الأمن المدججة بالسلاح على المعتصمين في ميدان اللؤلؤة وهم نيام "كان هجومًا مباغتًا دون سابق إنذار، غطت أصوات الرصاص ومسيلات الدموع أرجاء المكان. والنتيجة مجزرة في الميدان". تضيف "وقفت أمام هذا الفعل المشين، لسان حالي يقول: كيف يقتل أبناء الشعب وهم عزّل ؟وكيف يكون جيش الوطن هو قاتله؟". صار الميدان جزءاً من يوميات مريم، خاصة بعد انضمامها لزملائها المدرسين في خيمة جمعية المعلمين لتشاركهم في المسيرات المطالبة بالحرية.

تضيف مريم: "في مدرستي أخذت على عاتقي نقل رسالة المعتصمين من الشباب إلى رحاب المدرسة، حيث تفاعلت في الحوارات مع المعلمات تارّة ومع الطالبات تارّة أخرى، لم يدر في خَلَدِي أن المشهد سوف ينقلب إلى صورة دراماتيكية، تتحول فيه زيارة الدوار إلى تهمة بخيانة الوطن، والمشاركة في المسيرات والإعتصامات جنحة يعاقب عليها القانون".

تذكرت مريم أن النظام السياسي في البحرين لم يتغير، وإن بدّل جلده، فما حدث للمدارس في التسعينات إبان ثورة الكرامة، يعود مرة ثانية، ولكن بشكل أكثر دموية. تقول" في صبيحة يوم مدرسي داهمت عناصر من قوات الأمن المدرسة ضمن سلسلة هجماتهم على المدارس، اعتدوا على الطالبات، وقامت إحدى الملثمات بصفعي على وجهي أمام طالباتي وهي تصرخ بي: سنعلمكم كيف نكتب التاريخ!". اعتقلت مريم مع بعض من زميلاتها. قبل أن تغادر مريم إلى سجون النظام، رمت بنظرها إلى وجوه الطالبات، وهي تقرأ في عيونهن آمالاً وأحلامَاً لنيل الحرية والعزة والكرامة. لم يكن هذا منهج تاريخ مدرسي جامد ومنحاز، إنه تاريخ يكتب نفسه بنفسه، تاريخ يعيش الطالب خبرته الحية التي تريه حقيقة القوة التي طالما تحكمت بكتابة التاريخ.

■ **لم تكن مزحة**

بقالب كاريكاتوري ساخر سيخربش الفنان التشكيلي (ب) صورة رئيس وزراء البحرين. أحد الصحفيين الأميركيين سيسأله ماذا رسمت اليوم؟ يجيبه: ليس بعد. يعلق الصحفي ساخراً: حكومتكم مدعاة لسخرية كبيرة، استلهم من كذبها على الأقل أي فكرة، حكومتكم بها ديناصورات قديمة/ أليست هذه فكرة؟.

في طريق عودته إلى منزله في الثانية والنصف عند فجر 71 فبراير، سيرى (ب) أسرابا من سيارات الشرطة تأتي تباعاً باتجاه الدوار: "ظننت أنه أمرٌ طبيعي، رفعت هاتفي لأحذر الشباب، أخذت دورة بالسيارة ناحية الدوار، تعالى صوتي محذراً الشباب، هاتفت فني الصوت في المنصة شخصياً، هاتفه مغلق، أرسلت أحدهم إليه، أسرع، عليك إنذار الجميع بالتأهب، حالة استنفار مفاجأة لدى الشباب النائم، لم تصل العقارب حتى للثالثة، استيقظ الكل، التفت يميناً وشمالاً، أعداد المرتزقة في ازدياد، أخيراً، انفجر صوت مكبر الصوت، سلمية.. سلمية، يحذر الجميع بالتزام السلمية، تعالت الهتافات من وسط الميدان، سلمية.. سلمية، فردت القوات التحية من فوهة البندقية، ذخائر مختلفة، رصاص حي، قنابل صوتية، رصاصات انشطارية، غيوم سوداء ورمادية، امتزجت الهتافات بالاستغاثات، أنا وغيري، وكل من استطاع المغادرة، مندهش من عصابة غادرة، جاؤوا متسللين، راكبين وراجلين، توزعت أعدادهم، وأعلنوا انتقامهم، من أعلى الجسر، قذائف وطلقات، من كل حدبٍ وصوب".

■ **لست شيعية**

في الزاوية الفنية التي استحدثها الثوار داخل دوارهم ليعرضوا لوحات وأعمال فنية، سيتعرف الفنان التشكيلي على فتاة من الطائفة السنية: "عرفتني بنفسها أنها من عائلة الجودر، شاركتني عمل بعض اللافتات، معجبة ببعض معلميها الشيعة للخط العربي، تلبي طلب المعتصمين بخط هذا الشعار، تخطها وهي تبتسم بارتياح، تنظر لي بتفاؤل وهي تقول، أحلى شعار أفخر أن تكتبه، علقت على قولها: أنت بنت الجودر، أنت بنت المحرق"، يضيف: " سألتها: منذ متى أنتِ في الدّوار؟ تجيب بكل فخر واعتزاز: منذ ليلة الهجوم الوحشي للمرتزقة، كنا ننوي المبيت تلك الليلة أنا وزوجي، لقد أصيب إصابات طفيفة وهو بخير الآن، تضيف: تصوّر!، أننا نقطن في منطقة شيعية بين سار والجنبية!، تصوّر أن معظم أفراد عائلتي سيعلنون البراءة مني بسبب موقفي أنا وزوجي!، لكني لست أبه بهذا، لدي قناعة بقضيتنا. هل زوجك شيعي؟ تجيب: لا، ليس بالضرورة، إنها قضية وطنية للسنة والشيعة، لأننا شعب واحد نقطن في منطقة شيعية ونحن من أبناء السنة، أحسست أني أستمع إلى أنغامٍ وطنية أصيلة، وأحسست بمدى غبطة من يغنيها ويعزفها، وأنا أنظر إليها مبتسماً، قالت لي مبتسمة، هل عرفت لماذا أفخر لهذا الشعار؟، أولسنا إخوان سنة وشيعة؟، فأجبتها بإصرارٍ مبتسماً: وهذا الوطن ما نبيعه..!"

بين الفنان والشاعرة والمصرفي والمعلمة والمصور والشاب الجامعي، ستكتمل سيرة ثورة مرت سنة على اندلاعها فيما أحلام وأمنيات الحرية تراود أصحاب السّير وتستعد لسرد وقائعها مرات ومرات.

عبد الغني خنجر: ثورة 14 فبراير.. صرخة دوّت في السّجون

× عبد الغني خنجر

مـرآة البـحـريـن (خـاص): في أغسطس 2010م بـدأت رحلة الوجع. رافقتنا القيود في الطوامير المظلمة تحت الأرض. تسمعُ الصّراخ، والأنّات، ولكنك لا ترى بشراً، ولا ظلّ بشر. هكذا كنّا بعد تنفيذ جهاز الأمن الوطني لسيناريو القمعة الأمنيّة آنذاك. كان الجهاز يشعر بخيلاء، وأنّه أنجز مهمّته بنجاح باهر. كان يُظهر انتصاره كلّ حين.

لكن، ماذا حدث بعد ذلك؟ وكيف تنفّست القلوبُ المقهورة عطرَ الفرج؟

قبل ذلك. كانت سجوننا نسخة من سجون غوانتينامو ومعتقل أبـو غـريـب. داومَ الـجـلاّدون على الإمعان في إذلال نفوسنا، والتباهي كلّ صباح ومساء بأنّه حركة الشّارع تمّ قهرها نهائياً. كانوا يدخلون علينا الـزنـازن، ليُكرّروا: «لقد أخرسنا الشّارع، ولم يعد لكم أيّ ذكر. سحقنا كلّ منْ يعبّر عن التعاطف معكم. أنتم منسيّون، وفي قبضتنا».

وجاء نسيمٌ فبراير. تحوّلنا من مقهورين إلى قاهرين. من شبه أمـواتٍ، إلى صرخاتٍ حيّة هزّت جدران السّجون وأرعبت السّجانين. قبيل فبراير، كانت المعلومات شحيحة حول ما يجري في العالم الـخـارجي. كنّا في وضع يُشبه السّجن الإنفرادي، حيث يصعب تداول المعلومات والأخبار. ثورة 25 يناير في مصر أدخلت فينا البشرى. سقوط الطاغية مبارك هزّ ضمائرنا ووجداننا.

تسرّب إلينا «يوم الغضب البـحـريـنـي». التعتيم شديد، وقبضات جهاز الأمن تسدّ كلّ المنافذ. طرحنا على أنفسنا تساؤلات عديدة: يا ترى، كيف سيكون؟ هل سينجح؟ ومنْ سيُنجحه؟ كيف سينجح والقمع الأمـنـي، منذ أغسطس، خلّف أكثر من 200 معتقل؟ كيف، وفرقُ الموت والميليشيا أدخلت الرّعب في نفوس النّاس؟

لـم يـدر فـي خلدنا أن ساعة الصفر، فـعـلاً، قـادمـة. يُتمتم بعضنا البعض بأخبار يوم الغضب. حاولنا بكلّ الطرق نقل الخبر بين الزنازين التي نعلم أن فيها «مجموعة 25»، ولكن لم نكن نستطيع الحديث أو رؤية بعضنا البعض إلا نادرا. كنّا نستفيد من أية فرصة لرفع المعنويات، وتأكيد الصمود في وجه التنكيل والإذلال المستمر بحقنا منذ شهور.

قبيل ساعة الصفر، وتحديداً قبل 14 من فبراير بأسبوعين، مُنعت فـجـأةً عنّا الـزيـارات. لاحظنا التشديد في التعامل. جـلاوزة السجن يتم تغييرهم بشكل يومي. شعرنا بأن ثمة شيئاً يحدث في الخارج، وأن الإعلان عـن يـوم الـغـضـب الـبـحـريـني قـد أصـاب الـنـظـام بالخوف والرعب. ولكننا لم نكن نعرف حجم التفاعل مع تلك الدعوة، ولم نتوقع – في الحقيقة – أن يحدث ما حدث. انتظرنا. تلهّفنا لمعرفة أيّ خبر، أو حتى نصف خبر حول الوضع خارج السجن، ولكن دون فائدة. الـجـلاوزة لا يتحدثون معنا، وإنْ تحدثوا فإن ثمة أوامر صارمة بعدم نقل أي شي حول الوضع.

الانتظار أصابنا بالإعياء، وتوجّسنا خيفة. وفي يوم 14 فبراير، وتحديدا بعد منتصف الليل، نسمعُ خلف عنبر السجن رقـم 5 فـي الـحـوض الـجـاف مـرّ 14 فـبـرايـر. ومرّ15 فبراير، ومرّ أكثر من أسبوع على يوم الغضب، ولم نكن نعلم أي شي. بسبب ذلك، قررنا القيام بخطوة تعدّ جريئة جدا بالنظر إلـى طبيعة اعتقالنا وظروفنا المشدّدة. قرّرنا الإضراب عن الطعام، وأن نطلب زيارة الأهالي لمعرفة مـا يـدور في الـخـارج، كما رفعنا الصّوت مطالبين بوقف مسلسل الإذلال والضرب والـحـرمـان مـن الـحـاجـات الأساسية في السجن. استمرّ الإضراب يومين، وتكلّل بالنجاح، حيث حضر الجلاّدون وأخبرونا بأن الزيارات ستبدأ غدا، وطلبوا فكّ الإضـراب عن الطعام، مع وعدهم بأنّ بتحسين المعاملة.

في 20 فبراير كانت الزّيارة الأولـى. كنتُ في زنـزانـة رقم 1. صادف أن تكون أول زيارة في الصّباح لأحد المسجونين معي في نفس الـزنـزانـة، وهو الأستاذ عبد الأمير العرادي.

كأنّ زنزانتنا كانت موعودة بأن تكون أولى الزنازن التي يدوّي في أرجائها الخبر العظيم، فتبكي لبكائنا، وتنتفض معنا.

كنّا ننتظر عودة العرادي من الزّيارة. الكلّ في حال انتظار. لقد كانت طريقتهم أن يأخذونا للزيارة بشكل لا يسمح لنا بأن نلتقي مع بعضنا البعض. فبعد خروج ورجوع الأول يذهب خلفه الآخـر وهـكـذا. كـان الـترقّب يسيطر علينا جميعاً. هيّأتُ نفسي للـزيّـارة، حيث أخبروني بأنني التالي. وبينما كنتُ كذلك، أطلّ العـرادي عليّ وعـلامات الحزن الشديد باديةً على وجهه. دخل الزنزانة، وكنتُ جالساً. فصرخ في وجهي. أتذكرُ تلك الصرخة المشحونة بـالـمـرة، والمفعمة بالحزن الشديد. قال لي: «قمْ، وارفعْ رأسك، فلقد قدّم الشعبُ كوكبةً من الشهداء. أكثر من 7 شهداء سقطوا مضرجين بالدم، والشعب ثار.. ثار.. ولن يهدأ».

وقضّ! وفزع جميع السجناء (23 سجينا) في ذلك السجن. بقوة، وعلت هتافات: «الموت لآل خليفة» و«هيهات منا الذلة»!

لم يستطع الجلادون القيام بأي شيء. لم يكن في حسابهم حتى محاولة السيطرة علينا. حـاولـوا الـتـهـديـد، ولـكـن لم يجد نفعا، فقد كـان حرماننا من الأخـبـار، ووصـولـهـا فـجـأةً لنا – خـصـوصـا بعد أن تفاقم الـوضـع، وعـدد الـشـهـداء، وما حـدث مـن تـفـاصـيـل أخـرى – بمثابة الصاعق الذي فجّر في داخل قلوبنا المقهورة رغبةً في التمرّد والإنعتاق. لم تكن جدران السجن لتمنعنا من العروج نحو دوار الـلـؤلـؤة، ولـم يكن يجدي التخويف بالصعق بالكهرباء أو التعذيب والضرب. هكذا عشنا يومين متتاليين قبل أن يرغموا صاغرين على إطلاق سراحنا في أول ساعات 23 فبراير.

فـي مـسـاء 22 فـبـرايـر، أحسسنا أن حركة غير طبيعية تجري في السجن. لم نتوقع أن يُطلق سراحنا، ولم نكن نكترث أصلاً لإطلاق سرحنا بعد ورود بـدأ الـبـكـاء والـعـويـل. وقـف الجلادون مذهولين، لا يعلمون ماذا يفعلون! وبدأنا في الصراخ، والبكاء، وركل الأبواب الحديدية حتى بعد منتصف الليل.

خـرجـتُ أنـا مـتـأخـراً لأنـنـي قـرّرتُ البقاء مع الدكتور عبد الجليل السنكيس لحمل أغراضه. خرجت بعد الساعة الثالثة فجرا. وكنّا قد قرّرنا سلفاً في السجن أن نطوف على دوار اللؤلؤة قبل الـذهـاب لـمـنـازلـنـا. وبـالـفـعـل، خـرجـتُ لأجـد ولـدي محمد موشّحا بعلم البحرين. أحسستُ وكأنما عصر حكم الاستبداد انتهى، أو أنه لا يمكن أن يبقى بعد الـيـوم، وكأنـمـا مستقبل الحرية المشرق قد أقبل مبكّرا ودون إستئذان. توجهتُ فورا إلى الدّوار. لم أكن اصدق أنني في حضرة دوار اللؤلؤة! كان شعوراً امتزجت فيه دموع الفرح والحزن معا. حضرت أياماً متتالية في دوار اللؤلؤة فقط لأرمق الناس، وأشعر بالعز، وأن هذا الشعب نهض، ولن يرجع للوراء أبدا. وكثيراً ما تسامرت مع زملائي فـي رحـلـة الـسـجـون – مـنـذ أغسطس إلى فبراير – هل نحن في البحرين؟ وهل هي فعلا فقط خطوات نحن الحرية والكرامة؟!

× ناشط حقوقي، محكوم غيابيا (15 عاما) في قضية «التحالف من أجل الجمهورية»

ثورة الورود، ألوان تتحدى

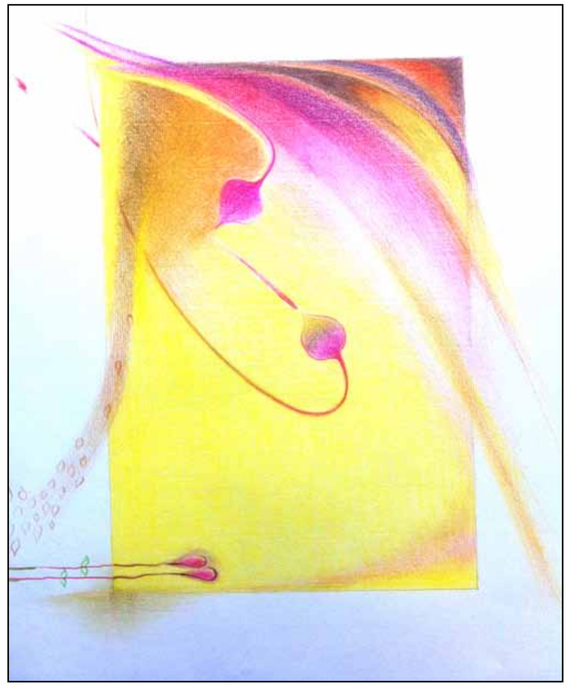

مرآة البحرين (خاص): قيل، يمكنك أن تسحق الوردة تحت قدميك، لكن لا يمكنك مهما فعلت، أن تسحق شذاها.

حملت ثورة 14 فبراير الورد، رفعته شعارها، لوحت به علامة حب وسلام ورغبة تغيير غير عنيفة. كان السحق هو الرد المباشر. تحدى شباب الثورة كراهية السحق، رفعو الورد أكثر، جعلوا عنقه يطول ليرتفع أعلى، استبدلوا البلاستيكي منه بالطبيعي، اختاروا الأحمر والأبيض ليؤكدوا أنه ولاؤهم الوحيد، جاء جواب السحق أكثر عنفاً.

سُحق الورد تحت أحذية الجيش ودباباتهم ومدرعاتهم وآلياتهم متبلدة المشاعر، تلك الآلات التي لا تعرف غير لغة البارود وتكره لغة الورد. البارود يكره الورد لأنه يفضح قبحه وبشاعته. هكذا سحق البارد الودر، لم يعد هناك ورد يرفع اليوم، لقد نجحت آلات الطمس في قتل الورد، لكن رغم ذلك، لا يزال شذاه باقياً في كل مكان سبق أن رفع فيه، لا يزال يفضح وجه هذا القبح أكثر وأكثر، لا يزال هو عبق هذه الثورة رغم كل الغازات الخانقة التي ترسلها قوى الأمن في مناطق البحرين كل يوم. لم يختنق العبق.

«سماح»، فنانة تشكيلية بحرينية (الاسم غير حقيقي، تتحفظ الفنانة على اسمها حالياً)، عاشت تجربة ثورة الورود بكل جمالياتها وأحلامها وطموحاتها وآلامها ومعاناتها وما تعرضت له من سحق وهتك وتنكيل وبطش. عايشت الحدث عبر فرشاتها، وعبر ألوانها، كلما نكّل بالورد وسحق تحت آلة العسكر، ذهبت إلى الفرشاة وراحت ترسم الورد زاهياً أكثر، تهب له اللون وكأنها تهب له الحياة. «المرارة حين أخلطها باللون، تصير شيء آخر، تدخل في تحدٍ مع الموت، وتصارع من أجل الحياة» تقول سماح.

لهذا كلما عصف السحق بالورد، راحت سماح ترسم وردها أكثر، تسبغ عليه من اللون حياة أخرى، كأنها تستنهضه أن لا يستلم ولا يتراجع، أن يكمل مشواره، فالورد خُلق ليجعل الحياة أجمل، وليجعلها أكثر زهواً. لهذا جعلت سماح كل لوحاتها زاهية، لن تخرج هذه الورد عن هذه الزهوة، مهما داخلها من الحزن والألم، ليس السحق نهاية، ولا الموت، كلها عروق لحياة أخرى جديدة، وعبير آخر. «اللوحة ليست سوى مقطع، ثمة ما هو خارجها مما لا نرى» تقول سماح.

رسمت سماح لحظة اجتياح الدوار في 16 مارس، الخيم المحترقة والدماء والشهادة، لكنها لم تجعلها لحظة سوداوية رغم كل الألم الذي احتواها، لا يزال اللون زاهياً، ولا تزال الأرواح الخضراء، تهبط نحو العمق مثل وتد يزيد جبل الثورة رسوخاً. رسمت أيضاً لحظات كثيرة، تلك بعضها..

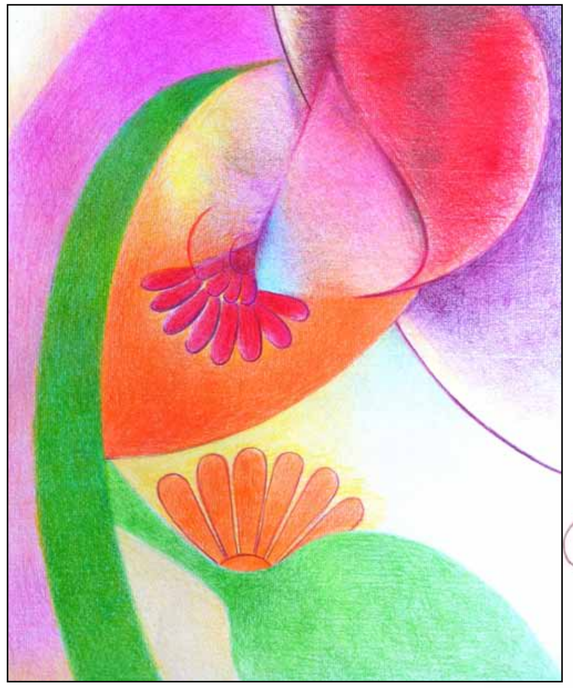

صرخة 14 فبراير في وجه مثقفي الخليج

أنور الرشيد×

في هذه المقالة لا أعني أحداً بها بقدر ما أعبر عن ما يجول بخاطري وما بين أضلعي التي بدأ التعب والملل والقرف يستلّ منها ولها، نتيجة للمعالجة الغبية التي لا أعرف إلى أي مدى سوف تستمر.

في كل الانتفاضات السابقة والملاحقات، ملاحقة النشطاء دون غطاء حقوقي كما يحصل اليوم كان التفاعل الخليجي يظهر بوضوح رغم التعتيم الإعلامي، ويمكن متابعة ذلك من خلال الأرشيف البريطاني وأرشيف الصحافة المصرية والكويتية خصوصا مجلة الطليعة الكويتية ومنشورات النشطاء مثل مجلة الخامس من مارس.

ورغم ذلك النشاط بذلك الوقت وقسوة الكبت والتشرد بمختلف العواصم العربية والدولية لم ينقطع الدعم الشعبي الخليجي سواء من ساسة خليجيين أو من مثقفين، و إزاء ذلك يمكن أن نعذر المثقفين الخليجين بتلك الفترة لظروف الكبت والاستبداد وعدم توفر معلومة بشكلها الحالي السريع وعدم وجود أدوات التواصل الاجتماعي الموجودة، وعدم وجود فضائيات تنقل الحدث أول بأول وعدم وجود نت يحتوي على كل ما يمكن أن يتخيله العقل البشري، ولكن في انتفاضة البحرين الحالية لا يمكن أن نلتمس لمثقفي الخليج العذر على تخاذلهم، وليسمحوا لي بهذه الكلمة القاسية أقولها بكل صراحة لقد خذلتم انتفاضة الرابع عشر من فبراير ولن يغفر لكم التاريخ هذه السقطة التي ما كان يجب أن تقعوا بها، فأنتم لستم من البسطاء أو من ذوي التفكير المحدود والضيق لكي تتطلي عليكم النغمة الفئوية ، هؤلاء شيعة يريدون ولاية الفقيه وجمهورية إسلامية، أتفهم موقف البسطاء ومحدودي التفكير ممن تنطلي عليهم هذه الأسطوانة التي نفاها السفير الأمريكي و تقرير بسيوني.

لا أستطيع أن أتفهم موقفكم وصمتكم من انتفاضة الرابع عشر من فبراير وترديدكم الأسطوانة المشروخة بالبعبع الإيراني، فبكل المقاييس يجب أن يتم مواجهة حقيقة موقفكم وسكوتهم عن آلة القتل التي تعمل في الجسد البحريني الذي أنهكته تلك الآلة القمعية الجهنمية.

لماذا التزمتم الصمت عن ما يحصل بالبحرين؟ هناك رأي يقول إن مثقفي الخليج وأعني كل مثقفي دول الخليج دون استثناء قد عانوا ما عانوه على أثر نضالهم في فترة النصف الأخير من القرن الماضي ولا زال البعض منهم يدفع ثمن مواقفه من تشرد وسجن ومحاربة بالرزق وكل ما يخطر على البال من ممارسات تدينها كل الاتفاقيات الدولية ذات الصلة، فهؤلاء لا يلامون كجيل قدم ما لديه ولازال يؤدي ما عليه أمام الجيل الذي يتتلمذ على يدهم اليوم وفي الأمس ليتشرب الوطنية والنضال على يديهم ، أما مثقفو الجيل الحالي فلا عذر لديهم بكل صراحة بأن يقفوا هذا الموقف المتخاذل أمام كل تلك الانتهاكات التي تحصل للشعب البحريني على يد مرتزقة تجلبهم السلطة لقمع شعب كامل بما فيهم السنة المعارضين و ليس الشيعة فقط .

انتفاضة الرابع عشر من فبراير وهي تنهي عيد ميلادها الأول تتساءل أين دوركم يا مثقفي الخليج ؟ أو يا من تدعون الثقافة، لم نسمع منكم أي بيان يندد بتلك الممارسات القمعية التي تحصل بين بيوت المدنيين؟ لم نسمع منكم صيحة أو صرخة استغاثة لشعبكم في البحرين وهو ينحر على القبلة دون حتى أن تسموا عليه، أين النخوة الخليجية ؟ هل أصبح الدم البحريني رخيصا لهذه الدرجة حتى تتجمد أحاسيسكم، أم أنه لا يعني لكم سوى لقاء في فندق خمس نجوم تتحدثون به لأنفسكم عن نفسكم وتسمعون به أصواتكم وصداها داخل قاعة مغلقة عليكم وتعيدون نفس الأسطوانة كل سنة حتى بدون أن يعرف الشعب البحريني الذي تلتقون على أرضه كل عام منذ أكثر من ثلاثين سنة عما تتحدثون، إلا تخجلوا من أنفسكم أمام تاريخكم الذي يسجل عليكم هذا التخاذل الممجوج والفج والذي يدعوا إلى الاشمئزاز.

وا أسفي على مثقفي الخليج اليوم وهم يشاهدون كل هذا القتل الذي يحدث لأشقائهم وهم صامتون ينظرون لهم وهم يسحلون ويلاحقون ويجرجرون وينفون وتقطع أرزاقهم وكأن على رؤوسكم الطير فاغرين أفواهكم دون أن تتحرك شُعيرة من مشاعركم التي تمسخت على ما يبدو وأصبحت أصلب من صخر جلمود، تبا لكم يا مثقفي الخليج يا من انتزعت منكم مشاعر الإنسانية يا من تجردتم وتعريتم أمام شهداء انتفاضة الرابع عشرمن فبراير ، سوف يسجل عليكم التاريخ موقفكم المتخاذل هذا وأسجل أنا هذا الهروب الكبيرمن مسئوليتكم لأحضان السلاطين ليلقوا عليكم فتات الذل والهوان متخلين عن مسئوليتكم التاريخية والإنسانية التي يتحتم عليكم تحملها في مشهد أقل ما يقال عنه إنه مشهد بائس على خشبة مسرح المثقفين الخليجيين مع الأسف الشديد أكرر وأعيد فنقطة من دم شهيد وشهيدة في قرية الدراز وسترة وجدحفص والدير وكل القرى المنتفضة للكرامة تساوي أكبر رأس بكم يا مدعي الثقافة ، نعم أقولها بكل فخر وعزة وكرامة ولا أخبئ رأسي بالرمال كما تفعلون بتهربكم من هذا الواقع المرير الذي يمر به شعب من شعوبكم المسكينه الذين ينظرون لكم باحترام لا تستحقونه في الحقيقة.

نعم أقولها بكل فخر أن نقطة دم نقطة دم شهيد وشهيدة تساوي كل رؤوسكم الفارغة، اللعنة على تلك الثقافة التي لا تنجد مغيثا ولا تأخذ بخاطر أم فقدت ولدها ولا بكلمة زوجة ترملت بعز شبابها ولا نخوة لبنت هتك عرضها ولا عطف على أب فقد أسرته، أعرف وأدرك مدى قساوتي بهذه الكلمات ولكن هذا هو مشهدكم الحزين الذي يستحق أن ندينه و نستنكره.

وختاما أقولها بكل صراحة يا شعب البحرين لا تعولوا على مدعي الثقافة الخليجيين الذين أسقطتموهم وأغرقتموهم ببحر دماء شهدائكم. على الرغم من القنابل المسيلة للدموع والرصاص الحي والرصاص المطاطي والانشطاري والسجن والاعتقال والتعذيب والتشرد وقطع الأرزاق، فمعركتكم اليوم تتجسد بنضالكم الإنساني، فحافظوا على سلمية نضالكم. نعم حافظوا على سلمية نضالكم فأنتم المنتصرون طال الزمن أو قصر، الديمقراطية والحرية لن تحصلوا عليها إن لم تعمد بدمائكم الزكية التي تدفعونها.

تحية إكبار وإجلال لشهداء انتفاضة الرابع عشر من فبراير.

×الأمين العام للمنتدى الخليجي لمؤسسات المجتمع المدني.

بحرينيو 14 فبراير: حق العودة

عادل مرزوق×

في فلم «أولاد العم»، ينقذ ضابط الاستخبارات المصرية فتاة فلسطينية انتحارية من الموت، وعرفاناً له تهديه مفتاحاً. يسألها عن قصة المفتاح، تخبره بأنه مفتاح منزل العائلة المفقود، ورثته عن أبيها. تؤكد أن كل فلسطيني يحتفظ بمفتاح منزله، وأن لكل واحد منهم «حق العودة».

ليست القيمة في جغرافيا دوار اللؤلؤة، أو النصب المهدوم، أو هندسة الدوار بنخيله وطرقاته، أو حتى موقعه الإستراتيجي على مقربة من قلب العاصمة المنامة. القيمة هي قيمة الحلم الذي لبسه وعاشه البحرينيون هناك على غير موعد. القيمة في أيام الحرية، في ذاكرة الناس المتعلقة بأدق التفاصيل والحوادث في ذلك المكان. لا يستطيع من تنفس الحرية إلا أن يعود لها، له حق مشروع، حق العودة. إن لم يعد، فسيترك مفتاحه/ حلمه وصية لمن يأتي بعده. وهذه مقدمة اولى.

المقدمة الثانية استخلصها من لقاء (غير رسمي) جمع بعض الصحافيين مع أحد أفراد العائلة الحاكمة في البحرين، كان هذا اللقاء عقب فضيحة تقرير (البندر) مباشرة، سأل حينها صاحب الدعوة أحد كبار الإعلاميين عن رأيه في (تقرير البندر) وتبعاته، أجابه باقتضاب: أعتقد أن اسرائيل تملك من القوة والمال والدعم الدولي ما لا يمكن مقارنته بالبحرين، اسرائيل ورغم كل قوتها وما كانت تقدمه للمهاجرين اليهود من امتيازات خرافية لم تتجح في إبادة الفلسطينيين أو تهجيرهم أو القضاء على حلمهم في الحرية، فهل من المعقول أن تنجح البحرين في القضاء على شعبها أو أن تستبدله وهي دولة ينخرها الفساد وسرقة المال العام، دولة تصارع منذ أعوام لدفع حصتها في بناء جسر قطر!

في المقدمتين ما يشي بأن هذا الشعب هو الطرف الأقوى في الميزان. هذا صحيح، وقد يصف البعض هذا الرأي بأنه: مبالغة، أو حلم عالي الكلفة. نعم، تستطيع السلطة السياسية القائمة أن تتحكم بقوة مرتزقتها وعتادها على الأرض، لكنها تدرك كما ندرك نحن أن سلطتها هذه سلطة مؤقتة، سلطة مرهونة ببقاء من تجلبهم من المرتزقة المسلحين في مواقعهم. ما إن يغادر المرتزقة نقاطهم الأمنية حتى تعود الأرض لسلطتها الحقيقية (الشعب)، الشعب الذي يملك الشارع، ويؤكد للعالم أن السلطة الحاكمة ليست أكثر من سلطة مغتصبة للأرض بالقوة. وهي بذلك – أي الدولة – تدرك أنها سلطة فاقدة لشرعيتها، إن شرعيتها مفروضة بالسلاح، لا بقبول الناس بها.

في ذكرى 14 فبراير وانطلاق ثورة اللؤلؤة يعود شعار العودة للدوار ليكون الشعار الأكثر رمزية وحضوراً. لا في أروقة وفضاء تنظيمات المعارضة أو شباب 14 فبراير وحسب، بل وبما يمتد لأجهزة الدولة الأمنية أيضاً. إذتشهد البحرين تصعيداً أمنياً، وعسكرةً للطرقات المؤدية إلى دوار اللؤلؤة. وخلاف ما يشي به حضور هذا الشعار في الشارع من تأكيد عزمه وصموده وقدرته في الثبات على مطالبه العادلة، يشي بأن الدولة أيضاً، تدرك قوة هذه العزيمة والصمود، بل تخشاها وتهابها. تدرك الدولة أيضا: أن كل ما ارتكبته من جرائم وانتهاكات وتزييف وفبركات لم يجدِ، وهي الرسالة الأهم، والأجدر بالالتفات.

إن تجارب الشعوب الحية لا تعود إلى الوراء، هذه حقيقة على النظام أن يصدقها وهو يحاول – دون جدوى – فرض سياسة القبول بالأمر الواقع على شارع المعارضة. إن حلم/حق العودة للدوار ليس أزمة جغرافيا المكان لتطوقه الدولة بالمرتزقة المسلحين وهو ليس مجرد مطالبة بحرية الاعتصام أو نصر خرافي يحققه الناس بالوصول إلى هناك، حق العودة للدوار هو مجاز عن المطالبة بالحق في الحرية، الحق في الوجود، الحق في الكرامة، الحق في العدالة والمساواة والديمقراطية.

×كاتب بحريني.

خطابي في الرابع عشر من فبراير...إلى جلالة القاتل

علي شريف×

مر عام أيها الملك، عام علي بعد أن تركت كل عملي الذي وصلت إليه بسنين شاقة من الاجتهاد، لم أكن كاتبا ولم أكن صحفيا، وكانت دراستي الجامعية في تخصص علمي بحت، كنت أعمل حتى وأنا أدرس لأنني من عائلة فقيرة، حصلت على شهادة البكالريوس من جامعة البحرين ببعثة من وزارة التربية لأنني كنت طالبا متفوقا.

لم أحتج قبل هذه السنة لأية إعانة من أحد، فقد كان دخلي مرتفعا، وصرت أعيش في صفوف الطبقة المتوسطة. لكنني أيها الملك كنت أهتم بالناس منذ كان عمري 12 عاما، كنت أراهم كيف يعيشون في تلك القرية الفقيرة ويضطرون لأن يعملوا في وظائف متدنية جدا ومن الدرجة العاشرة حتى يوفروا نصف قوت يومهم، كنت أراهم كيف يركبون أبسط السيارات، وكيف يجلسون على الحصير أو على أرض ليست مفروشة داخل منازلهم. كنت أرى بيوتهم كيف كانت تغص بعوائل أبنائها الذين لا يستطيعون استئجار شقة ولا الحصول على بيت، كنت أرى أطفالهم كيف يلعبون في الطرق الرديئة وكيف يحافظون على مصروف جيبهم البسيط ويقسمونه على فترتين، كنت في المدرسة الحكومية أرى كيف يأتي أبناء القرى إلى المدرسة بملابس رثة هي ربما نفس ملابسهم في العام الماضي، وكيف كانت أغراضهم وحقائبهم رخيصة وبسيطة. كنت أيها الملك حين أزور أهلي في القرى الأخرى أو في العاصمة أرى الفقراء يتجولون في كل الشوارع يسألون الناس أعطياتهم، وأرى كيف أن الكثير من الشباب تصل أعمارهم إلى 25 وهم دون عمل، وكيف أن كثيرا من النساء والفتيات يعملن في بيوتهم ليكفين عوائلهن شر الحاجة والسؤال.

كنت أرى وكنت أرى الكثير الكثير أيها الملك، وكنت واحدا من هؤلاء الذين طالما أعوزت عائلته الحاجة، لأنك ببساطة أنت وعائلتك سرقتم كل خير هذا البلد، واعتبرتموه بمنطق القبيلة الغازية غنيمة فتح، على حساب كل من يعيش فيه سنة وشيعة. لكن هذا كله لم يكن ما حرك عدائي وكراهيتي لك أيها الملك، لأنك سلبت أهم ما ندرت نفسي لأن أعيش من أجله، وهو أن أعيش عزيزا.

أيها الملك.. كنت أنوي بمناسبة هذه الذكرى المجيدة أن أستعرض مع الشعب البحريني عاما من خطاباتك الكاذبة، عبر الوقوف عليها وتحليلها بلغة المتابع السياسي، لكنني حين بدأت مراجعتها وجدت أنه من العيب أن أضيع كل هذا الوقت لأجل خطابات ضعيفة ينقصها الصدق. لقد قررت أيها الملك أن أخطب فيك أنا اليوم!

أيها الملك، قبل عام ومع اندلاع ثورة الرابع عشر من فبراير، شاركت أهلي وأصدقائي وأبناء وطني العظيم حلم التحول السياسي الذي راودني منذ كنت ابن 12 عاما، حين سمعت لأول مرة بانتفاضة التسعينات التي قادها الزعيم الراحل الشيخ عبد الأمير الجمري (قدس)، لقد عشقت هذا الشيخ لأن قلبه خفق بحريتي. حين مر صديقي (الذي هاجر من البحرين خوفا من قمع قوائك المرتزقة) بالبقعة التي سقطت فيها دماء الشهيد عبد الرضا بو حميد قرب دوار اللؤلؤة، انحنى عليها مقبّلا. دخلنا دوار اللؤلؤة لكن جيوش قبيلتك الغازية اغتالت حراكنا السلمي، واستباحت قرانا، وهتكت حرمة بيوتنا، واعتقلت حريتنا. لقد حاصرتنا جنود عرشك لكننا لم نخضع.

في مايو 2011 اتصلت بأستاذي لبدء تحرك منظم نستعد فيه إلى مواجهة أطول مع قتلة التاريخ من أمثالك. التقينا وكان في فمي كلام كثير، كنا أنا وهو ومجموعة من الكتاب والأكاديميين قد التقينا سابقا عند أحد أعمدة دوار اللؤلؤة.

منذ ذلك اليوم أيها الملك، وأنا قد تركت كل مجال عملي وتخصصي، وتفرغت للعمل مع زملائي الذين ينتشرون في كل أنحاء العالم، لنكون جزءا بسيطا من عطاء هذا الشعب العظيم في مواجهة طاغوت مثلك، عبر هذه الصحيفة (مرآة البحرين) التي تعمل بفيض من دماء الشهداء ليس إلا.

لقد سرت في أجسادنا دماء الشهداء واستنسخت فينا أرواحهم، لقد انتهى زمن الشعارات أيها الملك، فقد صارت المقاومة فننا وهي ما يشغلنا فرداً فرداً. لم تعش بعد لحظات الألم التي عشناها منك، لكنني أقول لك: ستخسر، وستخذلك كل تلك الدول في لحظة ضعف، كما خذلت آباءك من قبل، لحكمة واحدة، وهو أن التاريخ لا يتوقف أبدا، وهو ما لم تتعلمه من كل ما مضى وكل ما سيأتي.

تخرجت من كلية العلوم، ثم أصبحت أكاديميا، والآن ومن أجلك أصبحت كاتبا صحافيا، لكنني اليوم وبقلب صادق لا أريد سوى أن أكون شهيدا، يقلب ابني حبات التراب على قبري، ويذكر أنك قتلتني يا جلالة القاتل.

أخيرا... التاريخ تغيره الفكرة لا القوة... أيها الملك

× كاتب بحريني.

ثيمات 14 فبراير: الحاجة إلى تثبيت

عباس بوصفوان×

فجر 14 فبراير 2011، قاد الرجل العنيد عبدالوهاب حسين تظاهرة صغيرة العدد إلى دوار النويدرات، سيظل ينظر إليها التاريخ على أنها أول مسيرة خرجت في ثورة الرابع عشرمن فبراير، لتعلن انطلاق حدث استثنائي في تاريخ البحرين، حين قطعت المسيرة التردد بشأن ما إذا كانت التظاهرات الشعبية، التي كانت تنوي استلهام تجربتي تونس مصر، ستنطلق أم لا.

سبق ذلك حملة على الانترنت، أذهلتني، وجعلتني أقرر التغريد في تويتر في 12 فبراير 2011.لكن ما تسبب لي بـ «صدمة» إيجابية هو تحول ملتقى البحرين (بحرين أون لاين) المعروف بتسيد خطابات «التشدد» فيه، وربما غوغائيتها أحيانا، إلى فضاء جامع كل الطيف الوطني المعارض، لتبادل الأفكار حول مجمل الحالة الوطنية، والموعد الأنسب لانطلاق «يوم الغضب» البحريني، والشعارات التي سيرفعها.

في الملتقى، الأشهر بحرينيا، تم اختيار دوار اللؤلؤة كمركز للاحتجاج، من بين مواقع أخرى تم ترشيحها، كان ذلك أقرب إلى عملية انتخاب مذهلة شعبية وحماسية لملكة جمال عبر الانترنت!.

سبق ذلك ترشيح كورنيش الملك فيصل ودوار اللؤلؤة ومواقع أخرى لتكون «ميدان التحرير» البحريني، وعرضت خرائط وصور للمواقع المرشحة، أهميتها «الاستيراتيجية»، مساحتها، سهولة الوصول لها، قدرتها الاستعابية للجمهور، مواقف السيارات المتاحة، والخدمات المتوافرة، بما في ذلك دورات المياه.

لقد تمكن الملتقى من إدارة عمليات عصف ذهني على مدى نحو أسبوعين، لوضع تصورات لمجمل الثيمات التي ستلوّن لاحقا مشهد دوار اللؤلؤة.

كان المتحدثون في «أون لاين» حريصون على تجنب استخدام لغة غير تقنية في توجيه النقد للآخر، يؤكدون على الوحدة الوطنية، وعلى وحدة المعارضة، وعلى آليات استثمار اللحظة العربية الراهنة لصنع انتصار تاريخي بحريني خالص.

وكان لما يمكن اعتباره ضوء أخضر من آية الله الشيخ عيسى قاسم وزعيم الوفاق الشيخ علي سلمان بمثابة غطاء سياسي لانطلاقة النشاط الشبابي المرتقب، يخطأ من يعتقد أن التظاهرات المزمعة لم تكن بحاجة إليه، أو يمكن أن تصل إلى مدياتها الراهنة بدون ذلك التناغم «العفوي» بين جل أقطاب الساحة الوطنية المعارضة.

عصر 14 فبراير 2011، كنت في السنابس، حيث خرجت تظاهرة ضمت العشرات، لكنها أكبر مما اعتاد الشبان تسييرها في السنوات السابقة، حين بدا الفراق ـ رسميا ـ بين جماعات حق والوفاء من جهة، والوفاق من ناحية أخرى، على خلفية مشاركة الأخيرة في الانتخابات النيابية 2006.

في السنابس، بدت التظاهرة سلمية، الناس كاشفون وجوههم، يحمل بعضهم علم البحرين، والذي سيتحول لاحقا إلى أهم ثيمة للثورة، يصعب على النظام تغييره أو حرقه، كما فعل حين هدم دوار اللؤلؤة.

عدد من الشبان كانوا يحملون الحجارة، تم نهرهم بطريقة واضحة بأن الحدث سلمي بحت، فيما كان شاب يحمل قنينة، اعتقد البعض أن بداخلها كيروسين، ودعوه لإلقائها، لكنه أفصح أنها قنينة ماء لمواجهة مسيلات الدموع المرتقبة.

ولفنتني في السنابس الحضور النسائي، الذي سيغطي ـ في حالات كثيرة لاحقا ـ الحضور الذكوري، لكنه حينها ـ 14 فبراير 2011 ـ يعد معطى جديدا في هكذا مواقف، يمكن أن تتعرض للقمع، وهذا ما حدث بالفعل، إذ بُعيد دقائق استخدمت قوات الشغب مسيلات الدموع بكثافة لتفريق المحتجين.

انتقلتُ من السنابس إلى كرزكان.. حيث التظاهرة فيها بالمئات، نساء ورجالا، يرفعون أعلام البحرين، وشعار «سير يا مشيع كل الشعب وياك»، دلالة على الخط السياسي الذي يسيطر على مزاجها.

لم ألحظ تواجدا أمنيا، كانت المنطقة «محررة» بلغة الناس، والسبب أنه قبل ليلة من ذلك كانت الشرطة قد استهدفت زواجا في إحدى الحسينيات، وقد أُغرق المكان بمسيلات وتسبب ذلك بإصابات.. مما جعل الجو مكهربا، واختار الجهاز الأمني عدم الاقتراب من التظاهرة الصاخبة.

ومن خلال بحرين أون لاين و شهود العيان من الأصدقاء، عرفت أن كل المناطق شهدت تظاهرات لم تعتدها.. ومع ذلك، فإن ما جرى لاحقا من تطورات كانت بعيدة عن المتوقع، يجلعني أقول أن الحدث الدراماتيكي سيظل لصيقا ببربع البحرين.. شرط أن يدرك ملتقى البحرين والجمعيات السياسية والقادة الدينيين وعموم الجمهور أن الحفاظ على ثيمات 14 فبراير الأساسية شرط لازم لكسب المعركة.

×صحافي بحريني

الخوالد بذرة الشر

مرآة البحرين (خاص):

في عائلة طحنتها الصراعات الدموية على الحكم حتى أراق الإخوة وأبناء العمومة دماء بعضهم البعض، قلما وجد الطرف الممسك بالحكم من يثق به. ولعل الاستثناء الوحيد هو ذلك الدور الذي لعبه خالد بن علي مع أخيه حاكم البحرين عيسى بن علي 1869 . 1932م حين جلبه البريطانيون ليمتلي سدة الحكم في البحرين عقب الأحداث العاصفة التي ألمت بحكم محمد بن خليفة الذي خرج عن طاعة البريطانيين غير ذات مرة.

لم يكن خالد بن علي الوزير الناصح، أو المستشار الحكيم، فلقد تسبب لاحقاً في كوارث كبرى دفع عيسى بن علي ثمنها باهضاً. وتورد الوثائق البريطانية في الأعوام 1922- 1924 العديد من الجرائم التي ارتكبها خالد بن علي وأبناؤه في سترة وغيرها من قرى البحرين التي اكتوت بسياسات السخرة والإستعباد.

جرائم الخوالد

ووثقت التقارير الإدارية البريطانية قيام خالد بن علي بمعونة الدواسر قام بمهاجمة جزيرة سترة خلال شهر مارس سنة 1922 في أسوأ حادث إرهابي منذ إعلان المقاومة السلمية من جانب الأهالي، بعد أن قتل أكثر من 12 شخصا منهم وحرق بيوت الكثير منهم واغتصبت بعض النسوة. وعلى إثر هذه المجزرة تحركت القرى بفعالية مطالبة الحاكم الشيخ حمد والميجر ديلي باتخاذ الإجراءات المناسبة وإيقاف الحملات الإرهابية.

وكان الشيخ عبد الله العرب من أبرز علماء البحرين الذين وقفوا وتصدوا لاعتداءات الدواسر، حيث كان الناس تستظل بآرائه وفتاويه وتستلهم منه الرؤى والتوجيهات للدفاع عن حقوقها المسلوبة. وقام الشيخ العرب بمعية الشيخ حسن رمضان بكتابة عريضة احتجاج دون فيها جميع الانتهاكات ورفعوا العريضة للحاكم البريطاني الممثل للمقيم السياسي البريطاني في (بوشهر) من أجل التدخل لوضع حد للانتهاكات وسعياً لمعالجة الموضوع، وسعى شيوخ قبائل (الدواسر) وأعوانهم لتعطيل سير المحاكمة القضائية وفرض إرهابهم بالقوة وقاموا بتهديد المواطنين (الشيعة) إذا ما حاولوا تقديم إثباتات جريمة محددة ضدهم.

فقام الدواسر بالتعرض للبحارنة العاملين في الغواص في منطقة خورفشت في مايو 1923. وبالرغم من هذا التهديد قدم الشيخ (العرب) والمواطنين إثباتاتهم وأدلتهم التي أدانت شيوخ قبائل (الدواسر) وأعوانهم المجرمين، الذين اعترفوا بالمسؤولية الجماعية عن الجرائم المرتكبة ضد المواطنين الشيعة في قرية (عالي) و(سترة) وأُجبروا على دفع التعويضات المناسبة لأهل الذين قتلوا وجُرحوا من جراء الهجوم على قرية (عالي)، وكانت هذه أول مرة في تاريخ البحرين الذي تُقَدَم قبيلة متنفذة إلى المحكمة تحت سلطة القانون العام البريطاني! مما أوغر صدورهم وأخذوا يتحينون الفرصة للانتقام من القائمين على هذا العمل.

وفي العاشر من يونيو 1923 ارتكب (الدواسر) وأعوانهم جريمة بشعة عندما كمنوا للشيخين العرب ورمضان فجراً، حيث شهر (الدواسر) سيوفهم وهجموا عليهم في منطقة تسمى (ردم الصّليّب) قرب قرية (أبوصيبع) وقاموا بقتل الشيخين بقطع رأسيهما والتمثيل بهما، ثم فروا هاربين.

ورغم كل ما اقترفه خالد بن علي بمعية الدواسر من جرائم وانتهاكات لحقوق هذا الشعب، فقد استطاع أن يبقى هو وأبناؤه وأحفاده في قصور الحكم الخليفية، جيلاً بعد جيل. ما خلا عهد عيسى بن سلمان آل خليفة الذي أحكم فيه رئيس الوزراء خليفة بن سلمان القبضة على مقاليد الحكم، فلم يكن للخوالد ذلك الوجود أو التأثير، وليس خفياً على المتابعين العداء المستفحل بين خليفة بن سلمان وخالد بن أحمد وزير الديوان، إذ لطالما صرح رئيس الوزراء لحضور مجلسه وديوانه كراهيته لخالد بن أحمد وأخيه خليفة القائد العام لقوة دفاع البحرين. المفارقة الوحيدة في عداء خليفة بن سلمان لهم، أنه حاول استرضاء الخوالد عبر تزويجه ابنه علي بن خليفة بواحدة من الخوالد حين اختار بنت عبدالله بن خالد زوجة له.

الخوالد من جديد

سيكون للخوالد في عهد حمد بن عيسى آل خليفة (1999) عودة جديدة، لكنها ليست عودة المستشار أو الوزير فحسب، بل هي عودة بأهداف جديدة وطموحات أكبر، معادلة الخوالد التي يفهمها خالد بن أحمد وأخوه المشير هي كالتالي: أن يبقى الحكم في عائلة عيسى بن علي في الأسماء، فيما يمسك الخوالد بمقاليد الحكم على الأرض، ولطالما سرّ الخوالد لمن يلوم تغولهم في مؤسسات الدولة بأن اتساعهم هو تعويض لما بذله جدهم الأول خالد بن علي في استقرار الحكم فيما كان أخوه عيسى بن علي مشغولاً بترف القصور والنساء. وكما كان للجد الأكبر خالد بن علي مجازره وجرائمه، ها هم أحفاده يكملون دموية جدهم من جديد.

أنجب خالد بن علي آل خليفة عدة أبناء، منهم: عبدالله بن خالد وهو رئيس المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية وعميد العائلة المالكة، وسلمان بن خالد

وهو جد وزير الديوان الملكي خالد بن أحمد بن سلمان آل خليفة والمشير خليفة بن أحمد بن سلمان آل خليفة القائد العام لقوة الدفاع. وهو أيضاً عم وزير الديوان عبدالله بن سلمان، وزير الكهرباء السابق، الذي يشغل اليوم منصب رئيس المكتب العسكري للقائد الأعلى للقوات المسلحة، هو منصب ترضية بعد إزاحته من وزارة الكهرباء إثر فشله في إدارة ملف الاثنين الأسود الذي شهد انقطاع الكهرباء عن جميع الكهرباء في أغسطس 2004.

وتمتد سلطة الخوالد لتشمل وزارة العدل، فوزير العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف خالد بن علي بن عبدالله بن خالد هو حفيد عبدالله بن خالد، تزوج والد الوزير وعضو مجلس الشورى السابق علي بن عبدالله ال خليفة من سيدة مصرية وأنجب منها الوزير الشيخ خالد، وتنكر الأب لابنه، فمكث الابن سنوات في مصر، حتى عَلم الجد بذلك فأمر بأن يعيش حفيده في البحرين، وتحت رعاية مباشرة منه.

هناك أيضاً، الشيخ خالد بن عبدالله بن خالد نائب رئيس مجلس الوزراء هو ابن عبدالله بن خالد عميد العائلة. وهو شخصية ليبرالية يرى فيه الخوالد الشخصية الأقرب لتولي رئاسة الوزارء بعد رحيل خليفة بن سلمان على عكس ما يدور في أروقة الحكم بأن المرشح لخلافة خليفة بن سلمان هو الشيخ محمد بن مبارك آل خليفة. ويهيأ الخوالد الأخير ليكون رئيس الوزراء في البحرين حالما يغادر خليفة بن سلمان كرسيه.كما أن وزير الدولة لشئون الدفاع محمد بن عبدالله هو نجل خالد بن عبدالله عميد العائلة، وبذلك تكون جميع المناصب العسكرية في البلاد هي في قبضة الخوالد.

أما آل عطية فهم ينتسبون للخوالد من جهة والدتهم (أخت خالد بن أحمد)، ويعتبر (أحمد بن عطية الله وأخواه خالد بن احمد وخليفة بن أحمد) الحلقة الإدارية الرئيسية لنفوذ الخوالد في الدولة والعائلة الملكية الجديدة في البحرين. ويعتبر هذا الثلاثي الحلقة المديرة لمجمل تفاصيل المشهد السياسي في البحرين، خصوصاً وأن وزير المالية وباقي الوزراء يدركون أن شيئاً لا يمر من الديوان الملكي دون موافقة هذه الدائرة التي تستهلك أوقات الملك في الترفيه والنساء تحت إشراف عاملهم في الصافرية مستشار اختيار العاهرات للملك سلمان بن هندي.

تقرير البندر:

اولى بذرات الشر

لم يكن للعائلة الملكية الجديدة في البحرين من الخوالد ظهور واضح ما بين الأعوام 1999 – 2006. بل إن أحداً لم يتنبه لتغول هذه العائلة وامتدادها في شتى مواقع الدولة ومؤسساتها المدنية والعسكرية. إلا أن صبيحة الخميس الموافق بـ 14 سبتمبر 2006م كان توقيت الكشف عن نفوذ الخوالد ومخططاتهم الشيطانية في البحرين، وذلك عقب قرار إبعاد مستشار الحكومة السابق الدكتور صلاح البندر وذلك بتهمة تورطه في محاولة انقلابية.

كان صلاح البندر قبل قرار إبعاده قد التقى بعدد من نخبة الصحافيين البحرينيين ليعرض عليهم تقريراً – عرف لاحقاً بتقرير البندر – سرياً سرعان ما تداولته الصحافة المحلية. التقرير كشف تورط شخصيات هامة من الخوالد يتقدمهم أحمد بن عطية الله وآخرون من الحكومة البحرينية، في إنشاء جهاز سري يعمل على إثارة الفوضى والنزاعات فيما بين مكونات الشعب البحريني: الشيعة والسنة. كما تورط هذا التنظيم في إنشاء جمعيات ومؤسسات أهلية تعمل على تقويض المسيرة الإصلاحية في البلد ومناهضة القوى الداعمة لعملية التحول الديمقراطي. وقد تهيأت لهذا الجهاز أموال طائلة تم صرفها على أعضائه ونشاطاته مما كان له الأثر في إحداث العديد من الأزمات الاجتماعية والسياسية التي اتسمت بطابعها الطائفي في البحرين.

أيام بسيطة بعد مغادرة البندر وسرعان ما تكشفت خطوط فضيحة (البندر غيت) لتكشف عن ملامح الوجوه الحقيقية التي تدير البلاد وتتحكم في مواردها وسياساتها، وسرعان أيضاً ما ظهر خالد بن أحمد آل خليفة لا كوزير للديوان الملكي، بل باعتباره الديوان الملكي والملك ذاته. كان العام 2006 تحديداً نهاية ما كان يعرف بالمشروع الإصلاحي في البحرين.

اقرأ الحلقة الثانية في موقعنا (مرآة البحرين)

العائلة المالكة الجديدة (الخوالد)

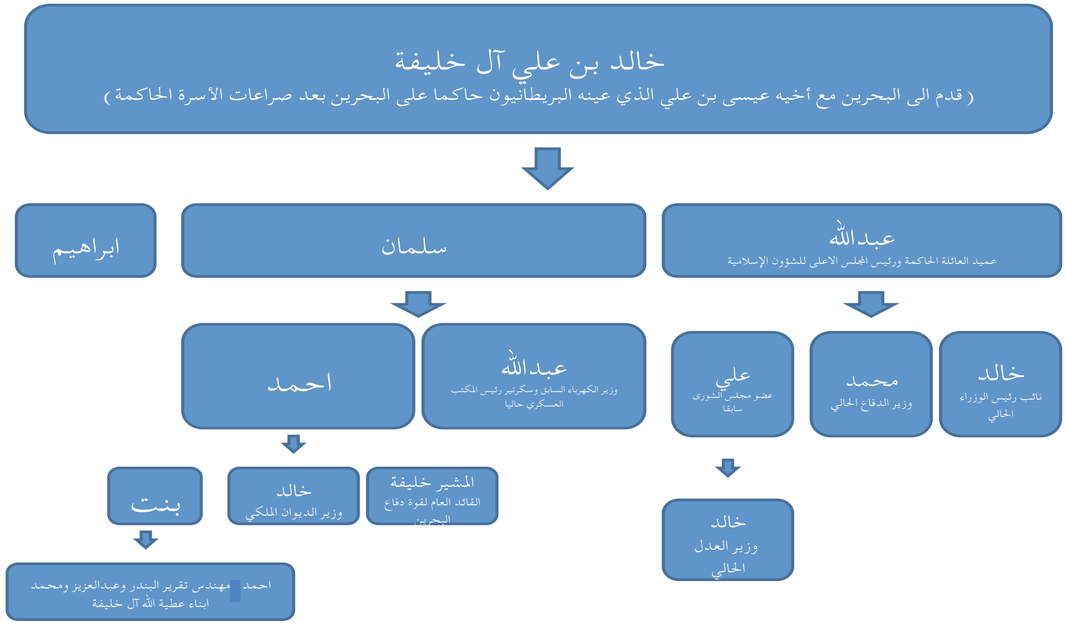

النساء ورد كل ثورة